هيكل البنية الزمنية في النص الأدبي
و (علاقتـــه بالدلالـــة) (*)

هيكل البنية الزمنية في النص الأدبي
و (علاقتــه بالدلالــة) (*)

مقدمة

إن دراســة الزمن، والالتفات إليه داخل بنية النصوص الإبداعية يعد ركيــزة كبرى يُتكأ عليها في تفسير غايات النص الأدبي، الذي يتسم باتساع فضائيا تــه وخصوبة تربته، ويعد إغفال دراسة الزمن أو الوقوف عليه سريعا من عوامل أكســدة (إن جــاز التعبير) العلاقات والعلائق بين مكونات النص، ويشير الأزهر الــزناد إلــي أهمــية دراسة الزمن في النص قائلا:"لقد ظهر في السنوات الأخيرة اهتماما بارزا ببنية الزمن وتنظيمه في الكلام بمستوييه : الجملة والنص، وضبطت كذلك محاور الدرس فيه، نذكر منها قضية المظهر(أو الوجهة)Aspect في دراسة الفعــل والفارق المنقضي والمتواصل، ومنها الصيغ أو الوجوه المختلفة التي تساهم بهــا صــيغ الأفعــال في تصرفها، حسب الأزمنة وأسماء الزمان وغيرها في فهم الجمــل والنصوص"([1])، وعلى الرغم من أن للزمان تعريفات ومفاهيم عديدة، في مخــتلف المذاهب، منها الوجودي والمثالي وغير ذلك، فإنه يجب التنويه بأننا لسنا بصدد الحديث عنها في بحثنا .

إن دراســة الــزمن،بأبعاده الثلاثة الماضي، والحاضر والمستقبل تلك التــي"لا يخرج الشاعر عليها لكونها مركز استقطاب في الخطاب الشعري المرتكز علــي لحظــة التوتر "([2]) في بنية الأعمال الأدبية بمثابة (إكسير) حياة لها، فانتقال المــبدع بــين الأزمــنة داخــل النص هو بعث للحركة وموت للركود، هو مقابلة

(*) **الدكتور / محمد السيد أحمد الدسوقي - مدرس البلاغة العربية - كلية الآداب - جامعة طنطا**

١-الأزهــر الــزناد، نســيج النص ، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١٩٩٣،١م،ص:٧١

٢- صــاحب خلــيل إبــراهيم، جدلــية الــزمن واللــون في ديوان"عاشقة الليل" لنازك الملائكة،مجلــة الموقف الأدبي، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد:٣٧٤،حزيران،٢٠٠٢م

وصـــراع بـــين أزمنة وأحداث، وبالتالي يظل العمل الفني قلقا نتيجة هذا الانتقال المحســـوب بـــين الأزمنة، فالزمن فى بنية النص ليس زمن صيغة فقط بل يتحول كثيـــراً إلى دلالات يفرزها السياق النصي، ويتساءل – إذن – مالك يوسف المطلبى "هـــل التعبير عن الزمن بالصيغة يتم خارج السياق وداخله بمستوى واحد" (٣) فلا شك أن للسياق دورا فى إكساب الصيغة الزمنية ثراء دلاليا من خلال العلاقات بين الأحداث من جهة، ومن خلال اختلاف هذه الصيغ الزمنية من جهة أخرى، ويؤكد هـــذا أيضاً د. تمام حسان حين يفرق فى الزمن اللغوي بين مفهومين، مفهوم الزمن الصـــرفي ومفهوم الزمن النحوي، ومفهوم الزمن الصرفي عنده هو وظيفة الصيغة الفعلية المفردة (٤) وأن مفهوم الزمن النحوي عنده " وظيفة فى السياق يؤديها الفعل أو الصـــيغة ... " (٥) يـــؤكد هـــذا الطرح أيضا د. مهدى المخزومى حين يعرف الـــزمن اللغـــوي " بأنـــه صيغ تدل على وقوع أحداث فى مجالات زمنية مختلفة ، ترتبط ارتباطاً كليا بالعلاقات الزمنية عند المتكلم " . (٦)

مـــرة أخرى يتحدث مالك يوسف المطلبى عن العلاقة بين السياق والزمن، يقول " أيـــن يكمن الزمن فى اللغة العربية، أهو خاصية صرفية تعبر عنه "صيغ tenses ثابـــتة فـــى الجدول الصرفي ؟ أو أنه نحوي لا يمكن تعيين حدوده وجهاته إلا من خـــلال معطـــيات الســـياق وتشابك القرائن فيه ؟ أم هو مادة غير مستقرة فى بيئته العـــربية، ولا يعـــد أن يكون وقتاً time معلوما بالدلالة التى تنص عليه نصاً من خـــلال معنى المفردة المعجمي والمعنى الزمني الذى يترشح عن التركيب والمعنى يشـــمل عليه سياق الحال context of situation،وبذلك يخرج الزمن فى العربية

٣-مالـــك يوسف المطلبى الزمن واللغة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٨٦م، ص:٥

٤- تمـــام حســـان : اللغة العربية معناها ومبناها، مطبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م ،ص: ١٠٧

٥- نفسه : ص: ٢٤٠ .

٦- مهدى المخزومي، فى النحو العربي " نقد و توجيه" منشورات المكتبة العصرية، ط١، بيروت،١٩٤٦م، ص ١٤٥

مـــن ســـمة النمطـــية " (٧) ويلاحظ د.المطلبى أن القدماء افتقروا إلى ربط الزمن بالســـياق ممـــا أوهـــم بافتقار العربية إلى تعدد الصيغ الزمنية ،يقول" العربية غنية بالصـــيغ الـــزمنية داخـــل السياق وخارجه، ومنهج النحاة القدماء الذى ربط الزمن بالصـــيغة ربطـــاً صرفياً، ولم يجعله سياقياً هو الذى أوهم بافتقار العربية إلى تلك الصـــيغ الـــزمنية، والعـــربية غنية بالزمن فى أساليبها العامة، فى نظامها الدلالي، وليس فى صيغها الصرفية واتجاهات تلك الصيغ نحويا. (٨)

ومـــن وســـائل اللغة العربية التي يعتمد عليها المتقبل في تحليل الخطاب من حيث بنيـــته الـــزمانية-كمـــا هـــو معلوم في كل اللغات الطبيعية- "صيغ صرفية وبنى تركيبية، مثل صيغ الأفعال وما يتصل بها من حروف، من قبيل "قد" أو "لما+ فعل مضـــارع مجزوم"، ومن أفعال ناقصة، ومن ظروف، وهي بتوزيعها تؤدي معنى التـــرتيب أو اللحـــاق بـــين الأحـــداث، كمـــا تتوفـــر وســـائل تدل على التزامن، كالأســـماء"عـــند،إذا،لما..."والحـــروف الدالـــة على الجمْع على وجه التزامن "واو الحال..."(٩)

وســـندرس الـــزمن فـــى هذا النص، انطلاقاً من عناصر دلالية وجمالية تبين مدى علاقـــة الـــزمن – بوصـــفة وعاء للأحداث التى يبثها المبدع – بموضوع النص، وحـــركية دلالـــته ونموها " فجميع الشعراء بين الماضي والحاضر وبين الماضي والآتي، وبين الليل والنهار وبين الظلمة والنور وبين الطول والقصر، وهم فى كل ذلك يعبرون عن تجاربهم باستغلال الطاقة الزمنية ورموزها فى اللغة " (١٠) ويؤكد الأزهـــر الـــزناد القـــول السابق، فيقول" تمثل مقولة الزمن مقولة أساسية في عمل

---

٧ -نفسه، ص: ٢٢

٨- نفسه، ص: ٢٣

٩- الأزهـــر الزناد، نسيج النص،بحث في ما يكون به الملفوظ نصا،(مرجع سابق)، ص: ٧٧

١٠- د. محمـــد عـــبد المطلـــب، بناء الأسلوب فى شعر الحداثة " التكوين البديعي"، رقم الإيداع ٥٦٣٣ لسنة ١٩٨٨، ص: ١٥٦

الذهن البشري، وتكفي الإشارة إلى أنه لا يُدرك، بل لا يُتصور، شيئًا خارج الزمن، وإنْ أمكـــنه ذلك فيبقي دائما مرتبطا بالزمن من حيث نفيه، وتختلف درجة حضور الزمن من نص إلى آخر لاختلاف قيام التصور عليه من مجال إلى آخر(١١) **وعلى ذلك يعتمد البحث في دراسته للزمن في بنية النص الآتي:**

١-البحث في البناء الزمني للنص، وكيفيته من خلال دوره في هذا البناء.

٢-الوقوف على الوسائل اللغوية التي يستعملها المبدع وعاءً لموضوعه، وعلاقتها بالـــزمن، ودور هـــذه الوســـائل في ضبط الاتجاه الزمني" فالزمن الشعري يتوهج باذخا بألق الفن، ودهشة الإبداع، ليخرج باللغة من المحدود إلى غير المحدود ومن المقيد إلى المطلق"(١٢)

٣-بيان الوظيفة التي تؤديها أزمنة صيغ الأفعال، وأسماء الزمان، أو الظروف في ترابط النص.(١٣) **ويمكننا-إذن- أن نرى قيمة دراسة الزمن والاعتناء بغاياته في النصوص الإبداعية فيما يلي:**

أولا : يمثل المبدع بالزمن نقطة انطلاق ينطلق من خلالها مفجرا قضيته، وهو إما مـــنطلقا مـــن ماض إلى حاضر، أو من حاضر نحو ماض، وفي خلال الاتجاهين تكـــون هـــناك رسائل يبثها المبدع، يثري بها دلالة نصه، ويأخذ التحول ــ إذن ــ الهيآت التالية :

الهيئة الأولى :

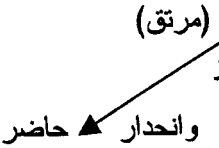

١١- الأزهـــر الـــزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا،(مرجع سابق)، ص:١١٢

١٢-بشـــرى البســـتاني، زمنـــية التشـــكيل الشعري مقاربة في ديوان خليل حاوي، مجلة مواقف، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق،العدد:٣٩٢،كانون الأول، ٢٠٠٣م

١٣- طالع: الأزهر الزناد، نسيج النص، (مرجع سابق)، ص:٨٢

الهيئة الثانية

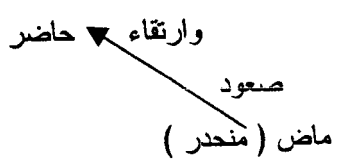

الهيأة الثالثة :

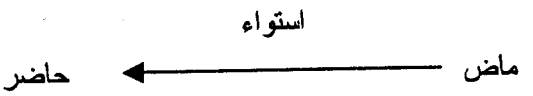

الهيأة الرابعة :

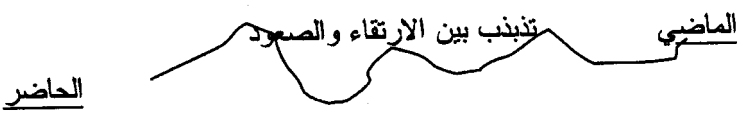

وأمـــا عـــن المســـتقبل (بوصـــفه زمنا) فهو يشكل هيأة مستقطبة بين الاتجاهين السابقين، ويستعين به المبدع لبناء أمل مفقود يراوده ويسعى نحوه .

الهـــيأة الأولـــى: يمثل فيها الزمن انتقالا من (ماض) يمثل حالة الارتقاء والسطوع إلى (حاضر) يمثل حالة الهبوط والانحدار، ويكون المستقبل (حالة) متولدة منتظرة يرى فيها المبدع آماله وغاياته، وهي إما غايات وآمال متفائلة، وإما يأس وموت .

الهـــيأة الثانية : تمثل انتقالا من (ماض) بائس منحدر نحو (حاضر) يمثل نهوضا وارتقـــاء ، ويشكل المستقبل (زمنا) حالة من اللاعودة، حالة استمرار نحو الارتقاء والنهوض .

الهـــيأة الثالـــثة : تمـــثل حالـــة مـــن الاستواء بين الزمنين (الماضي والحاضر)، والارتـــباط بيـــنهما ارتـــباط متوازن، يغذي "الماضي" الحاضر، و"الحاضر" تمتد جذوره نحو "الماضي" الذي يشكله، ويتدخل في بيان سماته وعلاماته، و(المستقبل) في ذلك كله تُرى وتتجسد ملامحُه .

الهيأة الرابعة: وهي عكس السابقة، العلاقة بين "الماضي والحاضر" علاقة متعرجة مضـــطربة، علاقة متفسخة، يمثل بها المبدع مراحل التخلف والتمزق، يصور بها حالة الرفض والضياع للهوية وموت للإرادة .

ثانيا : يمثل المبدع بالزمن من خلال نصه حركة داخلية تبتعد بالنص أن يكون جثة هامدة ، أو نصا خاملا، وبالتالي تصبح دلالات العمل الفني أشبه بموجات وأعاصير تجعل المتلقي هو الآخر لا يعرف الملل والغفلة.

ثالثا : إن دراسة الزمن في بنية النص الفني تفصح عن علاقة المبدع بهذا العمل، ومدى ثقافته الغائرة بين جنبات الماضي، وبين رموز الحاضر وفلسفته، وبين رؤى المستقبل وغاياتها، وكيفية انتقاله بين هذه الأزمنة الثلاثة بطريقة محسوبة هادفة، وبالتالي يصبح المبدع كـ"المخرج" الذي يقف على جزئيات عمله ممسكا بخيوطها، يحركها حركة واعية هادفة .

رابعا: يولد المبدع من خلال اهتمامه بالزمن وبكيفية انتقاله بين صوره هذه أصواتا تنتقل من العلو نحو الانخفاض، ومن الانخفاض نحو العلو، تبع حركية الدلالة السائرة في محيط النص، وتكون قافيته – بطبيعة صوتها- تمثل البرهان والدليل على مدى فهم المبدع لتوزيع ماهية هذا الصوت داخل فضاء النص .

خامسا : يعد الاهتمام بدراسة الزمن في بنية العمل الفني من العوامل التي تشكل طبيعة التركيب اللغوي، فوجود الأفعال بصيغة معينة وتوزيعها بهيئة معينة يشكل إبداع اللغة ويجسدها.

سادسا: اختارت هذه الدراسة نصين شعريين ميدانا للتطبيق، نصا للدكتور رضا علي النحوي،"رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين"، والنص الثاني لشيخ المحققين، الشيخ محمود محمد شاكر " القوس والعذراء" .

النص الأول:

[رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين](١٤)

(شعر : الدكتور عدنان على رضا النحوي)

١-أنا المسْجدُ الأقصَى ! وهذى المرابعُ ... بقايا ! وذكرى ! والأسى والفواجعُ

٢- لقد كنتُ بين المؤمنين و ديعةً ... على الدَهرِ ما هَبُّوا إلىّ وسارعوا

٣- يضُمُّون أحناءً علىّ وأعيُنًا ... و تحرُسُني منهُم سُيوفُ قَواطِعُ

١٤- مجلة الأدب الإسلامي، المجلد الخامس، العدد:١٩،لسنة: ١٤١٩هـ، ص:٦٤

٤-زُحوفٌ مع الأيّام موْصولةُ العُرَا فترتَجُّ من عزم الزُّحوفِ المرابعُ
٥- إذا أعوزَ القومَ السلاحَ توالَبُوْا تجودُ قُلوب بالوفَا و أضَالعُ
٦- وعَهْدٌ مع الله العليِّ يشُدُّه يقيّن بأنّ المرءَ لله راجعُ
٧-و أن جنانَ الخُلد بالحق تجْتَلى وبالدِّم تُجْلى ساحة ووقَائعُ
٨- مواكبُ نورٍ يملأ الدهرَ زخْفُها فيُشرقُ منها غَيْهَبٌ ومطالعُ
٩- و تنْشُرُ في الدنيا رسالةَ ربِّها فتُصغيْ لها فى الخافقين المسامعُ
١٠- وتنشرُ أنداءً وتسْكُبُ وابلاً فتخضرُّ ساحاتٌ ذوتْ و بَلاقعُ
١١-فما بال قومى اليوم غابُوا وغُيبوا وما عادَ فى الآفاق منهم طلائعُ
١٢-وما بالُ قومى بدلوا ساحةَ الوغى فغابت ميادينٌ لهم ومصانعُ
١٣- وما بالُهُمْ تاهُوا عن الدَّرب و يَحَهُم فجالتْ بهم أهواؤهُم و المطامعُ
١٤- فغابَ نداءٌ ما أجلَّ عطاءَه تردِّدُه فى كُل أفقٍ مجامعُ
١٥-وكانتْ ميادينُ الشهادة ساحَهم فصار لهُمْ مِلءُ الدِّيارِ مَرَاتعُ
١٦- وفىكلِّ يومٍ مَهرَجَانٌ يَضُمُّني وتدبُنى بين القصيدِ المدامعُ
١٧- وكانتْ دماءُ المؤمنين غَنيمةً تُصبَ و أرواح الشهودِ تدامعُ
١٨- فأصبَحْتُ ، يا ويحى ، أحاديثَ مجلس وأدمعَ بكَاءٍ حوتْه المضاجعُ
١٩- وكان يُدوِّي فى الميادينِ جوّلة فصار يدوِّى بالشعاراتِ ذَائعُ
٢٠- فما أنا "جُدْران "تدور "وساحَةُ " ولكنَّني أُفقٌ غَنِّى و و اسعُ
٢١- يَمُدُّ لىَ الآفاقَ و حى رُسالةٍ و حَبْلٌ متينٌ للمنازِلِ جامعُ
٢٢-رياضُ يرفُّ الطِّيبُ منها و تغْتنى من الطيبِ سَاحَاتٌ بها و مَرَابعُ
٢٣-فمنْ مُهْجة الإسْلامِ مَكّةَ خفْقَتي ومنْ طيبَةٍ وحْيٌ إلى الحقِّ دافعُ
٢٤- و من كلِّ دارٍ منبَرٌ ومآذنُ بيوتٌ تُدوِّى بالنداء جَوامعُ
٢٥-قُلوبٌ لها خَفْقُ الحياةِ و أضْلُعُ تجيشُ و آمالُ غَلَتْ و ودائعُ
٢٦- تظلُّ عُروقي بالحياةِ غنيَّةً إذا انتزَعْتني منْ ضُلوعي المَطَامعُ
٢٧- ونادَى مُنادٍ حَسْبُنا كِسْرةٌ هُنا ونَادَى سِواهُ نرْتَجي و نُصانعُ
٢٨- وطافتْ على الدنيا الهزائمُ كُلها شعارُ يُدوِّي أو ذليلٌ وضَارعُ
٢٩- تشُدّ عليَّ اليومَ قبضَةُ مُجْرِمٍ و يجْتالُني مَكْرٌ لهُ و أصَابعُ
٣٠-و فى كلِّ يومٍ ، ويْحَ نفْسي، مَسَارحُ تُدَارُ وأهواء عليْها تُنَازَعُ
٣١- تُدَارُ خُيوطُ المكر خَلْفَ سِتارِها وتُعلَنُ آمالُ عليهَا لوامعُ
٣٢- ويَطوِى عَلى هُوْنٍ أسَاي وذلّتي شِعَارٌ يُدَوي أو أمانٍ روائعُ

٣٣-تُمزقُ أوصَالي و تُنـزعُ مُهْـجَـتـي ... ويطلب نصرٌ والـديـارُ خـواضـعُ
٣٤-يقولون " تحرير" و يُجْـرُون صفْـقَـةً ... عليها شهودٌ ضـامـنون و بـائـعُ
٣٥-يقولون " تـقـريـرٌ المصـير" وإنَّـه ... لتدْميرُ آمال : فمـغْـطٍ و مـانـعُ
٣٦- يفاوضُ فيه الشاةَ ذئـبٌ و ثـعلـبٌ ... وقد مهَّدت عبْـر السنـين الـوقائـعُ
٣٧-يقـولون : أهلُ الـدارِ أدْرَى بحَالهـا ... وأين همُ ؟! إني إلـى الله ضـارعُ
٣٨-وأهـلـي! وما أهلي سوى أُمّـة لهـا ... من الله عزمٌ فى الميـاديـن جَامـعُ
٣٩-وصفٌ يـشدُّ المـؤمنـين جـميعَهـمْ ... كأنَّهُمُ البُنـيـانُ : عـالٍ و مـانـعُ
٤٠-إذا لم تقـمْ فى الأرضِ أمَّـة أحـمـدٍ ... فكلُّ الذى يُرْجَى عَلى السَّاحِ ضَائـعُ
٤١-حَنانيكَ يا أقـصي !حنـانَّيـك كُلّمـا ... خَطـرْتَ و شَـدَّتني إليك النَّـوازعُ
٤٢- فيافِ ترامـتْ بَـيْـنَـنا ومَسَـالكُ ... تُسدُّ وأشواقُ إلـيـك تـُصَـارعُ
٤٣-تَمُرُّ مع الذّكـرى لـتـوقـظ أمـةً ... وحولك غـافٍ لـو علمـتَ وقابعُ
٤٤-أطأطـئُ رأسـي ما خطـرت وأنثـني ... و طرْفِيَ من هُـونِ المذلـّة خاشـعُ
٤٥-و أُصغى ! ونجْـوى البرتقـال تهـزُّني ... ووشوشةُ الـزيتُون منـكَ قَـوارعُ
٤٦-يعيدُ لنا العُنـبُـى حنـيـنـنٌ مُرجـّعٌ ... يُردِّده فيـك الحـمـامُ السَّـواجـعُ
٤٧-فيا أيها الأقصَى أنيـنُـك مُـوجـعٌ ... تهيج به بيـن الضُّـلـوع الفواجـعُ
٤٨-حَنينـكَ أصـداءُ العصُـور ولهـفـةٌ ... فصبراً وما يـُدريكَ مـا الله صَانـعُ
٤٩-رجعـتُ ! فناداني! وعدتُ لكـي أرى ... على جـانبيْـه دمْـعَـةً تـتدافـعُ
٥٠-وقـال : إبَائي يحْجُـز الدمـع كلّـه ... ولكنَّ حزني الـيوم طَـاغٍ ودافـعُ
٥١-جَرَتْ دمْعةٌ فى الأرض مـنهُ فَأوْقـدتْ ... عزائـم أجيـالٍ وزحْفـاً يُتـابـعُ
٥٢-تخُـوضُ مَـياديـنَ الجِهـادِ وتعْتَلـى ... ذُرَاها تُـدَوي بالجـهَـادِ المجامـعُ
٥٣- فلَسْطِينُ حَـقُّ الـمسْلمـين جَميعَهم ... وهذا كتابُ الله بالحـقِّ سَـاطِـعُ

رسـالة المسـجد الأقصـى إلى المسلمين عنوان قصيدة الشاعر (عـدنان علـي حنا النحوي) والعنوان واضح الدلالة، رسالة من المسجد الأقصى إلـى أنصـاره، يصـرخ فيها مستنجدا مستغيثا مستنهضا الهمم لإنقاذه من براثن الاعتداء ومعاول الهدم، والشاعر يجيد كل الإجادة في التعبير عن هذا المعنى حينما يصدر القصيدة بقوله على لسان الأقصى :

أنا المسْجدُ الأقْصى وهَذْى المرابعِ
بقَايا ! وذِكْرى والأَسَى والفواجِعُ

فقـد أصـبح الأقصى "مرابع بقايا"، وذكرى وأسى وفواجع، والنَّعيُ يعبر عن هذه المأساة على النحو التالي :

*مـن البيت ٢ :١٠ يتحدث الشاعر عن ماضي العزة والنهوض والاستشهاد وإباء الذل والهوان .

*من البيت ١١: ١٩ بداية الانتكاسة والتيه والغياب .

*مـن البـيت ٢٠: ٢٦ يتحدث الشاعر عن قيمة المسجد الأقصى التي لا تقل عن مكة والمدينة ، لذا فهو أولى بالعناية والدفاع .

*من البيت ٢٧ : ٣٧ تصوير الانهزام والتبعية ، حيث لا حول ولا قوة .

*مـن البـيت ٣٨ : ٥٢ يتحدث الشاعر عن الآمال التي يجب أن تحيا، فمهما بلغ الهوان فلا بد من العِزّ، ومهما غاب الأقصى لا بد أن يحضر .

بعـد هذا العرض لأبعاد المعنى في النص، نتناول الأقضية الزمنية في النص على النحو التالي :

الفضاء الزمني الأول :

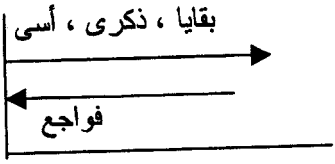

(هيأة الزمن في الفضاء الزمني الأول)

يـزاحم الـزمن [الماضـي] بدايـة النص، ويتخذه المبدع منطلقا لتصوير نكبة الأقصـى، ورجـوع المـبدع إلى الماضي، منذ هذه البداية هو في الحقيقة رفض للحاضر [الزمن المضارع] ، فالحاضر مأساة وخزي وعار .

والشاعر في بيته الأول :

أنا المسجِدُ الأقْصَى وهذي المرابعِ بقايا وذكْرى والأسَى والفَواجِعُ

يجعـل من [أنا] المسجد الأقصى [أنا متكسرة محطمة] بين [بقايا ــ ذكرى ــ الأسى ــ الفواجع] ، هو [أنا] لفظي لا وجود له، و (أنا) الأقصى أنين ووجع وصـراخ ، بعـدما أوهمنا الشاعر ــ حيين صدره البيت الأول ــ بأنه "أنا" موجود ثابـت، فغالبا ما يوجد (الأنا) ومعه الذات والقوة، ولكن المبدع يصدم المتلقي بغير

ذلك حين جاوره بالألفاظ التي تسيل منها الفاجعة والندم .

لقد شكل المبدع من هذا العنوان المظلم البائس المخزي لوحة زمنية عبر من خلالها عن حالة الهروب والفرار الآني، وهو وإن رسم هذه الهيئة الزمنية من خلال بيت واحد إلا أنها متسعة وممتدة، فالهجوم على الأقصى بكل وسائل الإهانة و التدمير ليس وليد اللحظة بل تمتد جذوره عبر التاريخ .

ويكتفي الشاعر بهذه المدةالزمنية الحاضرة في بيته الأول لينتقل سريعا في محراب "الماضي"مشكلا هيأة زمنية مجيدة تخفف عنه آثار الفاجعة وآلام الحاضر .

الفضاء الزمني الثاني :

الماضي [لقد تركت]
(مجد وشموخ)
الحاضر [انهزام وخزي]

يشكل الشاعر هيأة الزمن الثانية من خلال نسيج الماضي، وبعد بيته الأول، ليصنع منه وَخْزَ إبرٍ، وشوكا حادا في ضمائر المتلقين، كما يفجر فيهم كل الطاقات الإيجابية للتعامل مع رسالة النص وغاياته ..

ويبدأ الشاعر مستخدما لحنا عاليا يتغنى بالأمجاد وبالعزة ، وتشكل الأبيات من[٢: ١٠] هذه المساحة الزمنية، حيث يبتدئ البيت الثاني بهذا التعبير المحزن المبكي الذي تفوح منه رائحة الحسرة والندم :

لقدْ كنتُ بين المؤمنيَن وديعةً على الدَّهر ما هبُّوا إلي وسَارعُوا

ولنتأمل [لقد كنت] ، " لقد " الدالة على التوكيد ، و" كنت " الهاربة نحو الماضي خوفا من حاضر مُخْز" كنت " جبيرة تلم تكسير" الحاضر" وهشاشته، ولنتأمل مرة ثانية لفظة "وديعة " :

لنرى دلالة الأمانة ووجوب الحرص عليها جيلا بعد جيل [ما هبوا إلي وسارعوا]، وكذا دوام النهوض والسرعة نحو الأقصى للحفاظ عليه [وديعة : أمانة] .

بعد ذلك يبدأ الشاعر بصنيع ذكي، وهو ما أطلقنا عليه " تحوصل الزمن " ونعني به: أن الزمن الذي يشكل منه الشاعر لوحته الزمنية يتحوصل داخله زمن آخر، فالشاعر في فضاء الزمن الأول[الماضي]نراه يحوصل الزمن [الحاضر:

المضـــارع] داخله، لما لاستخدام هذا الزمن من إحياء للحدث وتجسيده، ماثلا حيا، لتصل ــ بعد ذلك ــ الدلالة يقينا إلى ألباب التلقي واضحة أكثر فعالية .

وبالتأمل في الأبيات من [٣: ١١] نجد الشاعر يوزع الزمن" الحاضر"على النحو التالي :

٣- يضـــمون، تحرسني، ٤- ترتج، ٥-تواثبوا، تجود، ٧ - تَجْتَلي ، تجلى، ٨ - يشرق، يملأ،٩- تنشر ، فتصفر،١٠ - تنشر، تحضر .

ففـــي البـــيت: [٣] (يضـــمون) عليه أحناء وأعينا، و[٤](ترتج)المرابع من عزم الـــزحوف، و[٥] (يـــتواثب) القوم إذا أُعوز السلاح، و[٦] (يشد) العهد مع الله يقـــين، و[٧] (تجتلـــي) بالحـــق جـــنان الخلد، وكذا (تُجلى) الساحات بالاستشهاد والـــدماء، و[٨](تملأ) مواكب النور الدهر، و(تشرق) الغياهب والمطالع، و[٩] (تنشر) المواكب رسالة ربها، و(تصغي) المسامع كلها لهذه الرسالة.

وفي في ختام اللوحة الزمنية يأتي الشاعر بثلاثة أفعال (مضارعة) :
[تنشـــر، تسكب، تخضر]، مكثفا بذلك هذا الحضور للمجد والعزة العربية التي هي صورة لعزة (الأقصى) ومجده .

إذن هذه الأفعال التي تدور في فلك الزمن [المضارع] ، تتحرك كجزئيات داخل هذه النواة الكبرى [الماضي] ،والشكل التالي يوضح ذلك :

إن هـــذا الصـــنيع العجيب من لدن المبدع ليجعل التحاور لا ينقطع، ما دامت هذه الحركة دائمة، وما دام هذا الحوار بين الزمنيين قائما .

الفضاء الزمني الثالث :

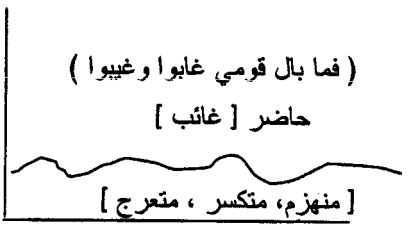

يشـــكل هـــذا الفضاء الأبيات من [١١ــ ١٩]، ويبدأ الشاعر في إرساء أسس هذا الفضـــاء على أكتاف هذا الاستفهام الفني الذي لا ينتهي، فيظل يشاغل التلقي، يقول الشاعر :

ما بال قومي اليوم غابوا وغيبوا وما عاد في الآفاق منهم طلائع

إنـــه اســـتفهام غني بالتعجب المتحوصل داخل الخزي والتواري والغياب، ويبدع الشـــاعر حين يصنع من الزمنين الماضي والحاضر حوارا عجيبا ورائعا، فيبدأ هذا الفضاء بـــ [الماضي] ، على النحو التالي :

١١-غابـــوا ، غيـــبوا (لاحظ دلالة البناء للمجهول وضياع الذات والإرادة)،١٢- بدلوا غابت، ١٣- تاهوا، حالت، ١٤- غاب، ١٥- كانت، صار، ١٧- كانت، ١٨ - أصبحت ١٩- كان ، صار .

لقدبـــدأ الشاعر بالزمن[المختفي] الماضي لينسجم ويتوافق مع حالة الغياب وعدم الحضـــور لأنصارالأقصـــى، وكـــان تكرار الشاعر للفعل[غاب] مسندا إلى" واو الجماعـــة " مجسدا هذه النكبة ومدويا لهذا العار، وكان بناء الفعل للمجهول أقصى بيان على هذا التناسق والتوافق الذي نحاه الشاعر .

ويأتي الزمن [الحاضر] متغلغلا بين أنسجة الزمن [الماضي]، على النحو التالي:

١٤- ترده ، ١٦ - يضمني ، تندبني ،١٧- يصب ، ١٩- يدوي ، يدوي .

وعلينا أن نلاحظ التالي :

(١) تأخـــر ورود الزمن [المضارع] إلى البيت " الرابع عشر "بيان واضح على سيادة حالة الغياب وعدم الحضور؛ فالقومَ قد تاهوا بعدما غابوا وغُيِّبُوا .

(٢) مجيء هذا الزمن من خلال هذه الأفعال أشبه بجهاز تنبيه القلب وتنشيطه حين

يراوده التوقف، وذلك علي النحو التالي :

بعـدما بيَّن الشاعر حالة الموت أو لنقل الاقتراب من التوقف(الموت)في البيت [١١،١٢، ١٣] وذلـك حـين غـاب القوم، ولم يعد لهم طلائع، وبتركهم الساحات غابت صنائعهم وتاهوا على الدرب بعدما مزقتهم الأهواء والمطامع، هذه إذن حالة الفقدان والتوقف عن النبض، نقول بعدما بَيَّن المبدع هذا كله، يأتي في البيت"الرابع عشر" قائلا :

فغابَ نداءٌ ما أجلَّ عطاؤُه تردّده في كل أفقٍ مجامِعُ

يأتـي المبدع بالفعل [المضارع] في الشطر الثاني(تردده في كل أفق مجامع) بمثابة الإفاقـة وبـث الهمـة، فإن غاب "النداء" إلى الجهاد وصون الأقصى، بعدما كانت تـردده فـي الآفاق المجامعُ، ليصبح إتيان الشاعر بهذا الهيئة الزمنية إحياء للنداء ورفضـا لحالـة الاستسلام والغياب والانتهاء، أليس من العار أن يغيب صوتكم!، ومن قبل كان صوت أجدادكم يدوي في الآفاق قوة وعزة ومنعة !

فـي البـيت"السادس عشر" يصنع الشاعر من خلال الزمن" الحاضر" وقدرته على التصوير والإحياء الماثل(مقابلة) ثرية الدلالة، يقول :

وفي كلِّ يومٍ مهرجانٌ يضمُّني وتندبُني بين القَصيدِ المَدَامِعُ

فـي الشطر الأول:(وفي كل يوم مهرجان يضمني) في كل يوم تتغنى المهرجانات بالأقصـى، وبالبطولات التي تصونه وتعزه، وتتغنى بالهزائم التي تلحقها بكل من تسول له نفسه بالاعتداء عليه .

فـي الشـطر الثانـي:(وتندبنـي بـين القصيد المدامع) بكاء وعويل على الحال الماثل،حال الأقصى وقد أصبح كالميت يندبه أهله، وتُذرف عليه الدموع، وتنشد فيه القصـائد، فاستخـدام الشاعر الزمن النحوي"الحاضر"جعل من المقابلة صراعا حيا بـين حالتـين، حالـة المجد والفخار، وحالة الذلة والانكسار، والشاعر يؤكد هذه المقابلـة التـي تسـاهم فـي عـدم التوقف والمـوات، بمـا ذكره في البيتين [١٧، ١٨]، حين قال :

وكانت دماءُ المسلمـــينَ غَنيـــةً تُصبّ وأرواحُ الشهودِ تدافع

فأصبحتُ يا ويْحي أحاديثَ مجْلسٍ وأدمعَ بَكّاءٍ حَوَتْهُ المضَاجعُ

فقد أكد هذه المقابلة بوجود" أصبحت "في بداية البيت[١٨]، بعدما كان في البيت [١٧] غنيا بأرواح شهدائه، أصبح في البيت السابق أحاديث شفوية لا واقع لها، ولا يُسمع إلا البكاء في جنبات المجالس .

كمـــا أكـــدَّ هذه المقابلة بوجود "صار"في البيت [١٩]، مع "كان" السابقة عليها، فقد كـــان[الأقصى]يدوي في الميادين"عزة ومجدا" فيصير في الشطر الثاني شعارات زائفة لا وجود لها، أصوات لا دلالة لها ولا مفهوم منها .

فالنـــتأمل كيف"حوصل" الشاعر الفعل[المضارع] داخل بوتقة الزمن[الماضي]، وقد صنع منه هدفا وغاية تساعد النص على بلوغ أهدافه ومراميه .

الفضاء الزمني الرابع :

ويبنـــيه الشـــاعر من خلال الأبيات[٢٠: ٢٦]، ويمثل به الشاعر فضاء زمنيا ثابتا وســـط الفضاءات السابقة و اللاحقة، وهو فضاء زمني ساطع لا يتحول ولا يتغير، وذلك من خلال هذه القيمة العظمى للأقصى .

والشاعر في بداية هذا الفضاء الزمي يرتَدُّ ببيته الأول منه، الذي يقول فيه :

فما أنا جُـــدرانٌ تدورُ وساحةٌ ولكنَّني أفْـــقٌ غني وواســـعُ

إلى الفضاء الزمني الأول حين يقول :

أنا المسجدُ الأقصَى وهذى المرَابِعُ بقَايا وذِكرى والأسَى والفَواجِعُ

لـــيعوض هـــذه الصـــورة الممزقة، هذه الصورة المأسوية المفجعة، فالأقصى ليس جـــدرانا ولا ســـاحة، بل إنه غني بالدلالات، غني بالمشاعر الإسلامية التي تكتنفه، فهو مهبط الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومصلى الأنبياء جميعا، وذِكْره مشرَّف في القرآن الكريم .

إن الشـــاعر يستخدم [المضارع] ليحيي هذه المعاني، ويجعل منها صورة ماثلة تشْـــخَصُ أمام العقول، كما كان "للمصدر" بثبات دلالته وزمنه وجودٌ حيٌ، والمتأمل في هذا الفضاء يرى أن الأفعال قليلة الورود بالنسبة للفضاءات الأخرى، فقد تكرر

الفعل[المضارع]" ٧ " مرات على النحو التالي :

٢٠- فما أنا جدران تدور، أفق، غني، واسع .

٢١- يمد، حبل متين، جامع.

٢٢- يرف، تفتني.

٢٣ - خـــفقتي، دافع .

٢٤ــ تدوي بالنداء جوامع .

٢٥ ــ خفق الحياة، تجيش، [أمال غلت] .

٢٦ ــ تظل، غنية [انتزعتني] .

هكذا يدور الزمن مع الصفات والمصادر علي بيان قيمة المسجد الأقصى الذي لـــيس جدرانا وساحات، بل أُفقا غنيا بالإشارات والرموز الدينية ــ كما ذكرنا سابقا ـــ وله من وحي الرسالة نصيب، فهو منزل جامع للمصلين، وجامع للرسول مع الأنبياء في رحلته المباركة، وله بمكة ــ البيت الحرام ــ صلة روحية غنية، صلة حـــية دائمـــة، يخفق بالحياة وبالقدسية، وكذا بطيبة يلتمس القوة إلى الحق، والدفاع عنه، وكل القلوب المسلمة الحية تخفق بالحياة حفاظا عليه، وهو إذن ــ الأقصى ــ كما يقول الشاعر على لسانه :

تظلُّ عُـــروقي بالحيـــاةِ غنيةً إذا انْتَزَعتْني من ضُلُوعِي المطَامِعُ

هـــذه هـــي ــ إذن ــ الصورة الفنية الحية الثابتة المعاني، التي يصور فيها المبدع المســـجد الأقصـــى نفسا حية تنبض بالحياة، مهما حاولت المطامع هدم هذه الروح واقـــتلاعها، ولا يخفى مدى الدور الكبير الذي أسهم به(الزمن)في تجسيدها، كذا الصفات والمصادر التي بثها الشاعر في إطار هذا الفضاء .

إذن يمـــثل المبدع بهذا الفضاء الزمني كوكبا ساطعا، كوكبا مشرقا بالكينونة الثابتة الأركان، تلك الكينونة التي لا تهان ولا تضعف،ما دام الأقصى كما يقول الشاعر :

فمِنْ مُهْجةِ الإسلامِ مكةَ خَفْقَتِي ومن طِيبَةَ وحيٌ إلى الحقِ دَافِعُ

الفضاء الزمني الخامس:

الفضـــاء الزمنـــي الخـــامس يبنيه الشاعر من خلال الأبيات من (٢٧ــ ٣٧)حيث

الانهزام والتبعية المؤداة إلى الضياع وموت الذات .

ويبدأ الشاعر هذا الفضاء بالزمن الماضي في بيتيه (٢٧ ــ ٢٨)

ونادَى منادٍ حسنبًا كَسْرَةَ هُنــا ونادَى سِــوَاهُ نَرتَجِي ونُصَانِعُ

وطَافتْ على الدُّنيا الهزائمُ كلُّها شعارٌ يدوِّي أو ذَليلٌ وضَارِعُ

إن استخدام الشاعر في بداية هذا الفضاء الزمني الماضي[نادي ، طافت]يؤكد أن الدعوة إلى النهوض والجهاد ليسا وليد الحاض، لكن المبدع يصدم المتلقي حين يفرغ هذا النداء من مضمونه، فنراه يحبسه في إطار الماضي[المنتهي]، فهو نداء لا غايــة مــن ورائــه، نداء إلى آذان صمَّت، وقلوب غفلت، بل ران عليها الجبن والضعف، نداء يشكله صوت دون مضمون،

طالما أننا : * [نرتجي ونصانع] البيت : ٢٧ .

وطالما أن هناك : * [ذليل ، ضارع] البيت : ٢٨ .

في إطار هذين البيتين نجد المبدع يحوصل [الزمن الحاضر] داخل فضاء الزمن الماضــي الذي بناه ــ كما ذكرنا ــ من خلال الفعلين [نادى ــ طافت]، كما يبينه الشكل التالي :

لقــد "حوصــل" الشاعر الفعل[يدوي] داخل إطار الزمن"الماضي" كما بينه الشكل الســابق ، وأكــد مــن خلاله أن هزيمة الأقصى هي هزيمة الدنيا كلها، وأحيا هذه الهــزيمة بهــذا الفعل الثري الدلالة، فــ (يدوي)صوت عال مطرق للآذان بغير لطف، لتصل الرسالة بعد ذلك قوية يسمعها القاصي والداني، لتفعل فعلتها في أنفس الشرفاء المناضلين، ولتولى حيل الرجاء ولتمت أشكال المصانعة الذليلة .

وينــتقل الشــاعر مــن البيت [٢٩] إلى آخر هذا الفضاء الزمني ليشكل الزمن الحاضر خاصية هذا الفضاء، **على النحو التالي :**

١٩- تشد، يختالني، ٣٠- تدار، تنازع،٣١- تدار، تعلن،٣٢- يطوي، يدوي،٣٣-

تمزق، تنزع، يطلب، ٣٤ – يقولون، يجرون، ٣٥– يقولون، ٣٦ – يفاوض، ٣٧– يقولون .

ولنـــتأمل هذه الإبلاغية العظيمة لدور الزمن الحاضر في هذا الفضاء الذي جسم وصـــنع شريطا مصورا حيا أمام العين والخاطر لمصيبة الأقصى، وماحل به، وما دار حوله من مفاوضات ومحاورات .

ويـــبدع الشـــاعر فـــي تمهـــيده لهذه اللوحة التصويرية حين جعل النداء لمساندة الأقصـــى وإحـــيائه مرة أخرى صوت ذليل ، وضارع لا قيمة له ، شعار يدوي لا واقع له .

يـــبدأ الشاعر هذه اللوحة ببيان وعرض سماتها وخصائصها ، فهي سمات عار ، وخصائص ذليل ، فقبضة المجرم تشد، والأهواء تتنازع لا استواء لها، حيل المكر والمماطلـــة تـــدار، و الآمـــال لا تحقيق لها، وأوصاله تمزق، وتنزع مهجته، وكل المحـــاولات مجرد أقاويل تقال، ومفاوضات خادعة ماكرة، إن حال الأقصى أشبه بـــ"الشاة" التي يتفاوض عليها ذئب وثعلب،وهي مفاوضة نهايتها الموت والانتهاء .

ويأتي البيت الأخير يدوّي في فلك هذا الزمن بهذا الفعل الغائر الدلالة(يقولون)الذي تكـــرر "أربع" مرات في بداية الأبيات"٣٤،٣٥،٣٦،٣٧"، ليزيد الأمر مرارة ويجسم المثل الذي ساقه الشاعر :

يقولونَ أهْلُ الدارِ أدرَى بِحالِها وأين همْ إنِّي إلى الله ضَارِعُ

ولكن أين أهل الدار؟ غائبون، أحياءٌ أموات، ويكون الاستفهام (أين هم؟!) استفهاما غاية في الأسف والخجل، لذا كان القرار تجاه الأقصى : (إنِّي إلى الله ضَارِع).

لقـــد صنع الشاعر في بداية هذا القضاء الزمن حوارا بين الزمنيين [الماضي و الحاضر] ، حوارا مهَّد الزمن [الماضي] من خلاله للزمن [الحاضر] قدرتَه على الإيحـــاء والتصوير الثري لجريمة السكوت، وموت النداء الذي صدره الشاعر في بداية هذا الفضاء ، لذا وجدنا اللوحة تعرض الأقصى بين :

[الشـــد والجـــذب، والتنازع و الطي، ودوي الشعارات وتمزيق الأوصال، والقول الأجـــوف، والتدميـــر والـــتفاوض الخـــادع]صـــورة -إذن-هي حية أمام أعيننا

وخواطرنا، تهز نخْوتنا، وتقلق مضاجع الشرفاء، ليهبوا ناهضين من أجله .

نستطيع في النهاية أن نتبين هيأة الزمن في هذا المحور على الشكل التالي :

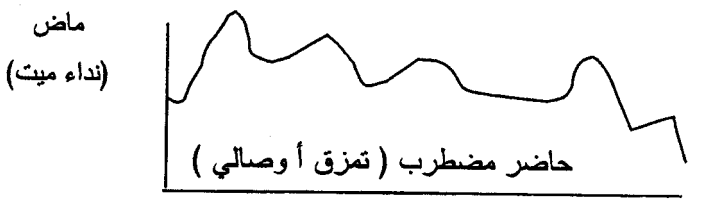

الفضاء الزمني السادس :

ويشـــكله الشـــاعر من جزئيات الأمل، والحضور الذي يعيد الكرامة، ويعيد حياة الأقصـــى العزيزة، ولقد بني الشاعر هذا الفضاء في الأبيات [٣٨ إلى ٥٢] نهاية النص .

لقـــد بدأ الشاعر في تشكيل هذا الفضاء بالروح الإيجابية بعد حالة السلب والشعور بالضياع ، تلك الحالة التي رسمها في بيته : [٣٧] .

يقُولون أهلُ الدارِ أدْرى بَحالها وأينَ همْ إنِّي إلى الله ضَارعُ

يـــبدأ الشـــاعر فـــي وضع أسس هذا الأمل في العودة من خلال أهل(الأقصى): المســـلمون جميعا، وحتى لا ينموا اليأس وتتوغل مشاعر الانهزام، يبدأ سريعا في البيت [٣٨] ببيان حيثيات هذا الأمل، قائلا :

وأهلِي !وما أهْلي سوى أمةٍ لها مِن الله عزمٌ في الميَادين جامعُ

إنهـــا أمـــة الإسلام التي تأبى الذل، والهوان، الأمة التي وصفها في أبياته التالية بالبنيان العالي المانع [٣٩] :

وصفٌ يشـــدُّ المؤمنين جميعَهمْ كأنهم البنـــيانُ : عالٍ ومانـــعُ

وإن لم تقم أمة محمد فلا كيان لغيرها [٤٠] :

إذا لم تقمْ في الأرضِ أمةُ أحمدٍ فكلُّ الذي يرجَى على السَّاحِ ضائِعُ

يـــتحول الشاعر بعد ذلك مخاطبا الأقصى بأنه لن يكون وحده، إنه لن يضيع، وفي إطـــار هـــذا الخطاب يلعب(الزمن) دوره البالغ المدى في بيان هذا المحور بين"

المبدع" و" المرسل إليه"[الأقصى]، على النحو التالي :

٣٩- يشد، ٤٠- يرجى (لم تقم)، ٤١- كلما(خطرت وشدني)، ٤٢ -تشد، تصارع، [ترامت]،٤٣- تمر، توقظ، [علمت]٤٤- وأطأطأ، وأنثني، [ما خطرت]،٤٥- أصغي، تهزني، ٤٦- يعد، يردده،٤٧- تهيج، ٤٨- يدريك،٤٩- تتدافع [رجعت، ناداني، عدت] ٥٠ - يحجز، [قال]،٥١ - يتابع، [جرت ، أوقدت]،٥٢ - تخوض، تعتلي، تدوي] ،٥٣ - حق، ساطع [مصادر] .

<u>وعلينا أن نلاحظ :</u>

إن الزمن النحوي"المضارع" يشكل النسبة العالية دون إحصاء، وبالتالي يشكل (الزمن الحالي) ماهية هذا الفضاء الأخير، وقد أراد الشاعر من خلال ذلك أن يؤكد الحضور لأنصار الأقصى، وعدم غفلتهم عنه، كما استطاع الشاعر من وراء هذا الزمن أن يولد زمنا غائبا [متحوصلا] في الحقيقة، هو[زمن المستقبل]، فلن يضيع الأقصى أبدا مادامت الأمة حية، مادامت ذكراه حية توقظ الأمة :

تُمُرُّ مع الذكرى لتوقظَ أمَّةً وحولَكَ غافٍ لو علمتَ وَقابِعُ

ويطرح الشاعر هذا الزمن من خلال بيته الأخير الذي يؤكد فيه وجود هذا الحق في كتاب الله، ومادام كتاب الله حيا باقيا، فسيظل هذا الحق مستقبلا حيا باقيا :

فلسْطِينُ حَقُ المسْلمِينَ جميعُهُم وهذَا كتابُ اللهِ بالحقِّ ساطِعُ

النص الثاني
البنية الزمنية وصراع المعاني
فى القوس العذراء

***

وإنـــي لمحدثك الآن عن رجل من عُرْض البشر يتعيش بكد يديه ، صابر الفاقـــة عامين، يعمل عملا يُفْلتُ نفسا من الغنى إليه، أغواه ثراء يبهره، فما كاد يُسْلمه للبيع حتى بكى عليه .
لم أعرفه ولكن حدثني عنه رجل مثله عَمَلهُ البيان . ذاك فِطرته فى يديه وهذا فطرته فى اللسان

***

،هـــذا عامر أخو الخضر : توجَّست به الوحشُ من عرفانها شدة نقمتة، جاءت ظامئة فى بَيْضَة الصيف، فراعها مَجْثَمهُ فى قَتْرَته قَليل التِّلاد، غير قوس أو أسهم، خفيُّ المهاد غير مقْلة تتضرَّمُ تبيَّنَتْ لمَحَ عيْنيه، فانقلبت عن شريعة الماءِ هَاربةً، ذكرت نكايةَ مرْمَاهُ، فآثرت ميتةَ الظَّمأ على فتكةِ الأسهم الصَائبة .
وما عامرٌ وقوْسُهُ ؟

- فـــدَعِ الشَّماخَ يُنبئك عن قوَّاسِها البائسِ فى حيثُ أتَاهَا
٢- أيْـــن كانـــتْ فـــى ضَـــمير الغَـــيْبِ مـــن غِيل نَمَاهَا ؟
٣- كَـــيْف شـــقَّتْ عيـــنُهُ الحجْـــبَ إلـــيها فاجْتَـــبَاهَا ؟
٤- كَـــيْف يَـــنْغَلُّ إلـــيها فـــى حَشَـــا عِـــيص وَقَاهَـــا ؟
٥- كَـــيْف أنحـــى نَحْـــوها مِبْـــراتَهُ حتـــى اخْـــتَلاهَا ؟
٦- كَـــيْف قـــرَّتْ فـــى يديْـــه ، واطمأنَّـــتْ لفَـــتَاهَا ؟
٧- كَـــيْف يسْـــتَودعُها الشَّـــمْسَ عَامِيْن .. تراهُ ويَرَاهَا ؟
٨- كَـــيْف ذاقَ الـــبُؤْسَ .. حتـــى شَـــربَتْ مـــاء لحاَها ؟
٩- كَـــيْف ناجَـــته .. وناجَاهـــا .. فلاَنَـــتْ .. فَلَـــوَهَا ؟
١٠- كَيْف سوَّاهَا ..وسوَّاهَا ..وسَوَّاهَا فقَامَتْ ..فَقَضَاهَا ؟
١١- كَـــيْف أعطـــتْه مـــنِ اللِّـــين ، إذا ذاقَ هَـــوَاهَا ؟
١٢- أىُّ ثَكْلـــى أعَـــولَتْ إذْ فَـــارَقَ السَّـــهْمُ حَشَـــاهَا ؟
١٣- كَـــيْف يرضِـــيه شَـــجاها ؟ كـــيف يصْـــغَى لبُكاهَا ؟

١٤- كَـيْف ريـع الـوحشُ مـن هاتف سهْمٍ إذ رمَاهَا ؟
١٥- كَـيْف يخْشـى طَارقًـا . فـى لـيْلةٍ يَهْمى نَدَاهَا ؟
١٦- كَـيْف ردَّاهَـا حريـرَ البَـزِّ حِرْصًـا وكَسَـاها ؟
١٧- كَـيْف هـزَّتْهُ فـتَاهَا ؟ وتَعَالـى وتَبَاهَـى ؟
١٨- كَـيْف وَافـى موْسـم الحـج بِهَا ؟ .. مَاذَا دَهَاهَا ؟
١٩- أيُّ عيْن لَمَحَتْ سرَّهُمَا المُضْمَرَ ؟ .. بلْ كَيْف رَآهَا ؟
٢٠- انْبَـرى كالصَّـقْر يـنْقضُ إلـيها .. فَأتَاهَـا !!
٢١- مَسَّـها ذو لهْفَـة تخْفـى ..، وإنْ جَـازتْ مَـدَاهَا
٢٢- قَـالَ : سـبْحَانَ الـذى سـوَّى !! وأفْدِي من بَرَاهَا
٢٣- أنْت ..!! بعْتيهَا .. نعم إن شئْت !! (تضْنَا وسقَاهَا)
٢٤- قَـال : بالتِّبْر .. وبالفضَّة بالخزِّ .. وما شئْتَ سوَاهَا
٢٥- بِثِـيَاب الخَـالِ .. بالعَصْـب المُوشَّـى .. أتَراهَا ؟
٢٦- وأديـم الماعِـز المقْـرُوظ .. أرْبَـى مَنْ شَراهَا !
٢٧-[كَـيْفَ قَـال الشيخُ؟كلاإنَّها بغْضِى والمالُ؟ بل المالُ فَداهَا
٢٨- إنها الفَاقةُ والبُؤسُ !! نَعَمْ ! هذا غَنى !! كلاَّ وشَاهَا
٢٩- بَـلْ كَفَانِـى فاقَةٌ لا !كَيْفَ أنْسَاها ؟ .. وأنَّى ؟! وهَواهَا]
٣٠- لَـمْ يكـدْ .. حتَّـى رأى ناسًـا ، وهمْسًا وشفاهَا :
٣١- بايـع الشَّـيْخَ ! أخَـاك الشَّيْخَ ! قدْ نلتَ رِضَاهَا !!
٣٢- إنَّـهُ ربْـحٌ .. ! فَـلا يُفْلـتْكَ ! .. أعطى واشْتراها
٣٣- ورأى كَفَّـيه صـفْراً ، ورأى المَـالَ .. فَـتَاهَا
٣٤- لمْحَـةً .. ثُـمَّ تجلـى الشـكُّ عـنْهُ .. فَـبكَاهَا !
٣٥- ورثَاهَـا بدُمُـوع ، ويْحَـه ! كَـيْف رثاهَـا ؟!
٣٦- فتولَّـى .. وسَـعيرُ الـنَّار يُخْفـى ولَظَاهَـا !
٣٧-حسْرةٌ تطوى عَلى أخْـرى فَـاغْضَـى وطَـوَاهَـا !

***

فاسْمعْ إذنْ صَدَى صوت الشَّمَّاخ :

٣٨- تَجَـاوبُ عـنهُ كُهُوفُ القُرُون تَرَدَّدَ فيها كأنْ لم يَزلْ

٣٩-وأوقفـــى على القمَم الشَّامخَات جَبَال منَ الشَّغرمنْها استَهلْ
٤٠- تحـــدَّر أنغامُـــه المرسلاتُ ، أنغام سَيْل طغَى واحتَفلْ
٤١- رأى حُمُـــرَ الوحْش فابْتَزَّها بَلابلَها منْ حديث الوَجَلْ
٤٢- رآهـــا ظمَـــاءً إلـــى مـــوردْ ففزَّعها عنْه خوْفٌ مَثَلْ
٤٣- فطَـــارت ســـراعَا إلى غيْره بعَدْوٍ تَضرَّمَ حتَى اشْتَعلْ
٤٤- فلـــم تـــدنُ حتى رأتْ صائدين فصدَّتْ عن الموْت لما أهَلْ
٤٥-فكالبرْق طارَتْ إلى مَأمَن على ذى الأرَاكَة ضَافى الـــنَّهَـــلْ

- فحَلاهَـــا عـــن ذى الأرَاكَـــة عامـــرَ
أخُـــو الخُضْـــر يرْمـــى حيثُ تكْوى النَّواحزُ
- قَلـــيلُ الـــتَّلادِ غيـــر قـــوْسٍ وأسْـــهمُ
كـــأن الـــذى يرْمـــى مـــن الـــوحْش تَارزُ
- مُطـــلاً بـــزُرقٍ مـــا يـــدَاوَى رَمـــيُّـــهـــا
وصفْراءَ من نبْع عـــليْـــها الـــجَـــلاَجـــزُ

٤٦- فكـــيْف تدسَّس هذا البيانُ حتى رأى بعُيُون الحُمرْ ؟
٤٧- وكـــيف تغلْغَـــلَ هذا اللسانُ وبيَّنَ عن راجفَات الحَذرْ
٤٨- لَواهَا عن الرَّيِّ عرْفانها أخا الخُضْر،عرْفَان من قدْ عَقَلْ !
٤٩- وعلَّمَهـــا أيْن تُكوى الْجُنُوبُ بنار الطَّبيب لدَاءٍ نَزَلْ !
٥٠- وأن الخَصَاصَةَ قوسُ البئيس إذا أنْقذف السَّهْمُ عنْها قَتَلْ !
٥١- يُســـابقُ مُستَنْهضَـــات الفرَار فيَقتُلُها قبْل أنْ تنْتَقلْ !
٥٢-فـــيُدركُها المـــوتُ مغروسةً قوائمُها فى الثَّرى ..لمْ تزَلْ !
٥٣- وَعَـــرَّفها أنهـــنَّ السَّـــهَامُ : زُرْقٌ تلأْلأُ أو تشْتَعلْ !
٥٤-وصـــفراءُ فاقعَـــةً ، إذْكـــرتْ مَصَـــارع آبائهنَّ الأولْ
٥٥-سهَامٌ ترى مَقْتل الحَائمَات و قـــوسٌ تطـــلُّ بحـــتْف أظَـــلْ!

- تخيَّـــرها القـــواسُ مـــنْ فـــرْع ضَـــالَة
لهـــا شَـــذَب مـــن دونهـــا وحَوَاجَـــزُ
- نَمَـــتْ فـــى مكَـــان كـــنَّهَا ، فاستَوتْ به
فَمَـــا دُونهـــا مـــنْ غـــيْلهَا مُتلاحـــزُ
- فـــا زال يَـــنْجو كـــلُّ رطْـــبٍ ويَـــابس

وَيَـــنْغَلُّ .. حتَـــى نالهَـــا وهُـــو بَـــارِزُ
- فانْحنَـــى علَـــيها ذاتَ حَـــدٍّ غُـــرابُها
عَـــدُو لأوْســـاط العِضَـــاه مُشَـــارِزُ
- فلمَـــا اطْمأنَّـــتْ فِـــى يديْـــه ..رأى غِنَى
أحَـــاط بِـــه و أزور عـــمَّـــنْ يـــحُـــاوِزُ

٥٦- تَخيَّـرها بـــاسٌ ، لَـــمْ يزل يمارسُ أمثالها مُذْ عقلْ
٥٧- تبيَـــنها وهى مخْجُوبة ، ومِن دُونها سترها المُنْسَدلْ
٥٨- حَمَاهَـــا العـــيونَ فأخطأتْها إلى أنْ أتَاهَا خَبيرٌ عَضَلْ
٥٩- رأى غَادة نُشِّنَتْ فى الظِّلال ظِلالِ النَّعيمِ فصَلَّى وَهَلْ
٦٠- فنادَتْه منْ كنِّها فاستَجَابَ : لبيْك ! (يَا قدَّها المُعْتَدلْ)
٦١-سُـتُور مُهَدَّلَـــة دُونهـــا وَحُراسُـــها كَـــرِمَاحِ الأسَلْ
٦٢- يَبِـــيسٌ ورَطْبٌ وذو شَوكة فأشْرطها نفْسَهُ .. لمْ يَبُلْ
٦٣- وسَلَّ لسَاناً من البَاترَات . وانْغلَّ عاشقُها المُخْتَبَلْ !!
٦٤- يَحُتُّ اليَبِيسَ ويُرْدِى الرَّطَابَ ويُغمضُ فى ظُلَمَـــات تُضَـــلْ
٦٥-فهتْك أستَارَهَا بارزاً إلى الشَّمْس .قد نَالَها ! حَيْهَلْ !!
٦٦- فَأنْحَى إليْها اللِّسَانَ الحَديدَ يَبْرُقُ .. وهْو خَصيمٌ جَدلْ
٦٧- عـــدُوٌ شـــريس لـــه ســـطوةٌ بكُـــلِّ عتِى قديم الأجَلْ
٦٨- فأثكَـــل أمًّا غَرَتْها النَّعيمَ وراحَ بها وهْوَ بَادِى الجَذَلْ
٦٩- فلمَّـــا أطمأنَّتْ على راحتَيه ، وعيْنَاهُ تستَرِقان القُبَلْ
٧٠- رَقَاهَـــا فأحْيَـــى صَـــبَاباها بـــتَعْويذَة منْ خَفى الغَزَلْ
٧١- فَنَاجَـــتْه فاهْتَـــزَّ من صَبْوة ومن فَرَح بالغِنَى المُقْتَبَلْ
٧٢- وأعْـــرَضَ عَنْ كُل ذى خَلَّة غِنىً بالتى حَازَهَا وانْفَتَلْ
- فَمَظَّعَهَـــا عامـــيْن مـــاءَ لِحَائِهَـــا
ويَنْظُـــرُ مِـــنهَا : أيُّهـــا هُـــو غامِـــزُ
- أقَـــام الـــثِّقافُ والطَّـــريدةُ دَرْأهَـــا
كَما قوَّمَتْ ضِغْنَ الـــشمُـــوس الـــمُـــهامِـــزُ
٧٣-مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْن حتَّى تجفَّ وتَشْرَبَ مَـــاء لحَاء خَضَلْ
٧٤ -وفى البؤسِ عامين يحْيى لها ويُحييه منها : الغِنَى والأمَلْ

٧٥- تردَّد عامين من كَهفه إلى مهْدها ، عنْد سفْح الجبلْ
٧٦- يغنى لها ، وهو بادِى الشَّقاء بادى البذَاذَة حتى هــزلْ
٧٧- يقلِّبُها بيدَىْ مشْــفق لهيف لطيــف رفيــق ، وجــلْ
٧٨- يُعَرضُها للَهيب الهجيرِ ، رؤوفاً بها ، عاكفا لا يَمَــلْ
٧٩- فلمَّا تمحَّص عنها النعيمُ واشْتد أُمْــودُها و انْفَتَــلْ
٨٠- عَصَتْه وساءَتْه أخلاقها نشوزا فلما التَوتْ كــالمُــدلْ
٨١- أعد الثَّقَــافَ لــها عاشقٌ يؤدِّبُــها أدبَ الممــــتثلْ
٨٢- وعَضَّ عليها فصاحَتْ له ، فأشْفَق إشْفَــاقةً وانْجَفَلْ
٨٣-فَجَسَّ ،فغاظته واستغلظتْ ، فعضَّ بأخرى، فلمْ تَمْتثلْ
٨٤- فألْقى الثقافَ ... وأوْصى الطَّريدة أنْ تستَبد بها ، لا تَكَلْ
٨٥- وألقمَــها قدَّها ، فانْبــرتْ تُخاشنُــها بغليظ مَحــلْ
٨٦- يجرِّدها من ثيابِ العناد ، ومن درعها الصَّعْب حــتى تَذلْ
٨٧- فلما تعرَّت له حرَّةً وممشــوقَةَ القَدِّ رَيَّــا، جَفَــلْ
٨٨- وسبَّح لما استهــلــتْ له، ولان لــه ضــفْــنُها.. وابْــتــهَــلْ

- وذاق .. فأعطَــتْهُ مــن اللِّــين جانباً
كَفى .. ولها أن يُغْرقَ السهمَ حــاجــزُ
- إذا انْبــضَّ الرامــونَ عنْــها ترنَّمَــتْ
ترنُّــمَ ثَــكْلى أوجعَــتْها الــجَــنائــزُ
-هــتوفٌ.. إذا مــا خالطَ الظَّبْىسهمُهَا !
وإنْ ربِعَ منها أسلمَــتْــه الــنُّــواقــزُ

٨٩- أطاعَــتْهُ من بعد أن لوَّعتْه بالوجدِ عامين حتى نَحَلْ
٩٠- يزلْــزله أمــل يســتفزُّ فــى قــيد بُؤْس يميتُ الأمَلْ
٩١- فلمَّــا أذاقــته ، إذْ ذاقها ، هَوى أضْمَرته له لم يَزلْ
٩٢- تبــيَّن إذ رَامهــا ، حــرة حَصــاناً ، تعف فلا تُبْتَذَلْ
٩٣- تَلــين لأنْــبل عشَّــاقها ، وتأبــى عليه إذا ما جَهلْ
٩٤- فأغْضَى حياءً وأفْضَى بها إلى كهْفه خاطفا، قَدْ عَجَلْ
٩٥- فأهْــدى لها حيلة صَاغهَا بكفيَّه ، وهو الرفيقُ العَمِلْ
٩٦- تخيَّــرها مــن حَشا أذْؤُب ، رآها لدَى أمِّها تستظلْ

٩٧- أعـدَّ لهـا وتـراً كالشُّعاع حراً .. على أربَع قد فُتِلْ
٩٨- فلمـا تحلَّت به ، مسَّها فحنَّت حنين المشُوق المُضَلْ
٩٩- فكفَّلَهـا مـن بنـى أمِّها صَغيراً ، تردَى بريْشٍ كَمَلْ
١٠٠- لـه صَلْعةٌ كبصيص اللهيب من جمْرة حية تشتعلْ
١٠١- فضمَّت عليه الحشَا رحمةً وكادت تكلِّمهُ . لو عَقلْ!
١٠٢- فَجُنَّ جنون المحبِّ الغيور..! فأنْبَضَ عنها أبِيٌّ بطَلْ
١٠٣-أرنَّت تُبكِّى أخاها الصغيرَ ويحى ! أخى ! ويلَه ! أين ضَلْ
١٠٤- فظـلَّ يفجِّعها : أن ترى جنائزَ إخوتَها .. وآ ثَكَلْ!
١٠٥- فأعْرضَ ظبيٌ فنادى به أخُوها ونادته : ها !قد قُتِلْ
١٠٦- وقفَّـاه ظبى فصاحت به فخَارتْ قوائمُهُ ، فاضْمحلْ
١٠٧- فآبَا يَسألها :هل رضيتَ بثُكل الأحبَّة ؟ قالتْ : أجَلْ
١٠٨- فباتا بليلةِ معشوقةٍ تُباذلُ عـاشقَـهـا مـا سَـألْ
- كـأن علـيها زعفـراناً تميـرُهُ
خَـوَازنُ عطَّـارِ يَمـانٍ كَوانـزُ
- إذا سـقط الأنْـدَاءُ صِـينَتْ وأشْـعرتْ
حَبيراً ولم تـُدْرَج علـيـهـا الـمَـعَـاوزُ
١٠٩- يُغازلُهـا وهـى مصـفرَّةٌ علـيها بقيةُ حُزنٍ رَحلْ
١١٠- تناسمهُ عطْرها ، والشَّذَا شذا زعفَرانٍ عَتيقِ الأجَلْ
١١١- توارثـنه الغـيدُ يكْنـزُنَهُ لـزينتهنَّ ، خَفيِّ المَحَلْ
١١٢- فساهَرها يزدهيه الجمَالُ ويُسكرهُ العَرْفُ حتى ذهلْ
١١٣- فنادتهُ : ويحك ! أهلكْتَنى ! أغثْنِىهذا النَّدى قد نَزلْ
١١٤- فطَـار إلى عَيْنَةٍ ضُمِّنَتْ حَريرا مُوشًّى نَقِى الخَمَلْ
١١٥- كسـاها حَفىٌّ بها عاشقٌ ! إذا أفْرَط الحبُّ يوما قَتلْ
١١٦- فألْبسها الدِّفْء ضِنًّا بها وباتَ قريراً عليه سَمَلْ !!
- فوافَـى بهـا أهـلَ المواسـمِ فانْبَـرى
لهـا بـيِّع يغْلـى بهـا السَّـوْم رائـزُ
- فقـال لـهُ : هـل تشْـتَريها ؟! فإنَّهـا
تُـباع بمـا بِـيع الـتِّلادُ الحرائـزُ

- فقـــال : إزَارٌ شَـــرْعَبِيٌ وأرْبَـــعٌ
مِـــن السَّـــيْراءِ أو أوَاقٍ نَواجِـــزُ
- ثَمـانٍ مِـن الكُـورِيِّ حمْـرٌ ، كأنَّهَـا
مِـن الجَمْـرِ مَـا أذْكَـى علـى النَّار خَابِزُ
- وبُـرْدَانِ مِـن خَـالٍ وتِسْـعُونَ درْهَمًا
على ذَاكَ مقْـرُوظٌ مِـن الجِـلْـدِ مَـاعِـزُ

١١٧- تَمَـتَّعَ دهْـرا بأيَّامهـا ولـيَلاتِها ناعمـاً قد ثملْ
١١٨- يـراهَا على بؤْسِه ، جنَّة تدلَّت بأثمارِها ، فاستظلْ
١١٩- تصَاحِبُه فى هَجِيرِ القفَار ، وفى ظُلَمِ الليل أنَّى نَزلْ
١٢٠- فيحرسُـها وهو فى أمْنَة ، وتحرسهُ فى غواشِى الوجَلْ
١٢١-يجوب الوهَاد،ويعلو النِّجَاد، ويأوى الكُهُوف، ويَرْقَى القُلَلْ
١٢٢-ويُفضِى إلى مستقَرِّ الحتوف :فى دار نمْر، وذئْب ، وَصِلْ
١٢٣- منازلُ عادٍ ، وأشْقى ثمودَ ، وحِمْيَرَ والبائداتِ الأُولْ
١٢٤-مَجَاهـلُ مَا إنْ بها منْ أنيس، ولا رَسْمَ دَار يُرى أوْ طَلَلْ
١٢٥- يُعلمها كيف كانَ الزمانُ ، ومجدُ القديم ، وكيفَ انتقلْ !
١٢٦- وكـيف تساقى بها الأولون رحيقَ الحياة وخمْرَ الأمَلْ !
١٢٧- وأيْـنَ الأخـلاَّء كانوا بها يجُرون ذيل الهوى والغَزلْ !
١٢٨-ومَلْكٌ تَعَالَى، وَطَاغٍ عَتَا ، وَحُر أبَى وحَرِيصٌ غَفَلْ !
١٢٩- فَدَمْـدَمَ بَيْنَهمُ صارخ : بقَاءٌ قَليلُ !! ودنْيا دُولْ !!
١٣٠- فعَـرْشٌ يَخرُّ، وساعٍ يقَرُّ وسَاقٍ يميلُ ونجْمٌ أفَلْ !!
١٣١- زهَـدْتُ إلـيكَ وفارَقْتُهم أخِلَّاء عهدِ الصِّبَا وَالجَذَلْ
١٣٢-فـنِعْم الصـديقُ!ونعم الخليل ونعمَ الأنيسِ ونعمَ البَدَلْ !!
١٣٣-صـديقٌ صـداقتها حُـرة، وخـل خلاَّتُها لا تُمَلْ
١٣٤- وغابَـا معاً عن عُيون الخطُوب ، وعنْ كلِّ واشٍ وشَى أو عَذلْ
١٣٥- وعـنْ فتنة تُذْهِلُ العاشقين ، تضئ الدُّجى لدبيب الملَلْ
١٣٦- وطَـال الزمانُ ، فحنَّت به إلى الحجِّ داعية تستهلْ
١٣٧-أذَان منَ الله !كَيْفَ القَرَارُ؟ وأيْنَ الفرَارُ؟وكَيْفَ المَهَلْ
١٣٨-تُردِّدُهُ البَيْدُ بَيْنَ الفجَاج ، وفوْقَ الجبَال ،وعند السُّبُلْ

١٣٩- أصـــاخ لهُ ، وأصاخَت له ولبّته ، فامتَثلتْ وامتَثَلْ
١٤٠- وطَـــارا معًا كَظِمَاءِ القَطَا ، إلى مَوْرِدٍ زاخرٍ مُحتَفِلْ
١٤١-فوافى المواسمَ . فاستَعْجَلت تُسائلُهُ:منْ أرىَ؟ أيْن ضَلْ ؟
١٤٢- أسَرَّ إليْها : أولاك الحجيجُ !! فلبى لربٍ تعالى وجَلْ
١٤٣- ونَادتَهُ جافلَةً : مَا تَرَى ! أجَذْوَةَ نَار أرى أمْ مُقَلْ ؟
١٤٤- فَمَا كَادَ حتَّى رأى كَاسِرًا تقاذفَ من شعَفَاتِ الجَبَلْ
١٤٥- يداني الخُطَا ،وهو نارٌ تؤجُّ ويُبْدى أناةً تكُفُّ العَجَلْ
١٤٦-ومَدَّ يَد لا تَرَاها العيون، أخفى إذا ما سرَتْ من أجَلْ
١٤٧- ونَظْرَةُ عيْن لها رَوْعَة ، تُخَالُ صليل سُيُوف تُسَلْ
١٤٨- فَلَمَّا أهَلَّ وألْقى السَّلامَ ،وأفْتَر عَنْ بَسْمَة المُخْتَتلْ
١٤٩- وقَالَ : أذنْتَ ؟! ويُمنَى يَدَيْه تَمَسُّ أنامِلُهَا مَا سَألْ
١٥٠- رأى بَائسًا مَالهُ حُرْمةٌ تَكُفُّ أذىً عنه.، بُؤْسٌ وذُلْ
١٥١-وقَالَ:فَدَيْتُكَ ! مَاذَا حَمَلتَ ؟وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ يَاذَا الرجُلْ؟!
١٥٢-وأفْدى الذى قَدْ بَرَى عُودها،وقوَّم مُنْآدَها،واعْتَمَلْ !!
١٥٣- فَهَزَّتْهُ مَا كرةً ، لم يَزَل يَتيهُ بها السَّمْعُ حتَّى غَفَلْ
١٥٤- فَأسلَمَهَا لشَديدِ المحَالِ ، ذَليقَ اللِّسَان ، خَفِىِّ الحيَلْ
١٥٥- فلمَّا تَرَامَتْ على رَاحَتَيــْه ، وَرَازَ مَعَاطفَهَا و النِّقَلْ
١٥٦-دَعَتْ:ياخَليلىَ!مَاذاَ فَعَلْتَ ؟أأسلَمْتَنى؟ لسَوَاك الهَبَلْ!!
١٥٧- فَخَالَسَهَا نَظْرَةً خَفَّضَتْ غَوارِبَ جَأْش غَلاَ بالوَهَــلْ
١٥٨-وقَالَ :لكَ الخَيْرُ! فدَيْتَنى بِنَفْسك ! بَارِى قِسِىٍّ! أجَلْ !
١٥٩- فبعنِى إذنْ !!
-هِى أغْلى علَىَّ ، إذا رُمْتَهَا ، منْ تلاَد جلَــلْ !
١٦٠-فقــال:نعمْ !لك عذى الرِّضى ،وفوق الرِّضى !(ويْلهُ مَنْ مُضِلْ!)
١٦١- فهلْ تشتريها ؟!
- نعمْ أشْترى
- لك الويْل مثْلكَ يومًا بَخَلْ !
١٦٢-فدَيْتُكَ !أعطَيْتُ ما تشْتَهِيه ! مابى فَقْرٌ ولا بِى بَخَلْ !

١٦٣-فنادتْه،ويْحَك!هذا الخبيثُ ! خُذْنِي إليْكَ ، ودَعْ ما بذلْ
١٦٤- فبَاسَمَها نظرةً ثُم ردَ إلى الشَّيْخ نظرَةَ سُخْرٍ مُطِلْ
١٦٥- بكَمْ تَشْتَريها ؟!

فصَاحَتْ به : حَذار ! حَذار ! دَهَاكَ الخَبَلْ !!
١٦٦- لهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ مَكْرهَا عَلَى ، فدَع عَنْكَ ! لا تُغْتَفلْ
١٦٧- فَقَالَ : إزارٌ منْ الشَّرْعَبيِّ وأرْبعٌ منْ سيرَاء الحُلَلْ
١٦٨- بُـرُودُ تضِـنُّ بهِـن التُّجارُ إذا رامهُنَّ مَلَيكٌ أجَلْ
١٦٩- ومِـنْ أرض قَيْصَـر : خُمر ثمانٍ جَلاها الهِرَقْليُّ ، مثلُ الشُعلْ
١٧٠-ثَمَـان تُضِـيءُ عليكَ الدُّجَى ! إذا عَمِيَ النَّجْمُ ، نعمَ البَدلْ
١٧١- وبُـرْدانِ من نسجِ خالٍ،أشَفَّ وأنعَمَ منْ خدِّ عَذْراءَ.. بَلْ
١٧٢- إذا بُسِطَا تحت شمسِ النهارِ، فالشمسُ تحتَهُما .ليْس ظلْ
١٧٣- وتسعون مثلَ عُيون الجَرادِ .. براقَةً كغَديرِ الوَشَلْ
١٧٤- كمِـرْآةِ حسـنَاءَ مفتُونةٍ كرَأسِ سنَانٍ حديثٍ صُقِلْ
١٧٥-أجلْ وأديمٌ كمثْلِ الحَريرِ، يُطْوَى ويُرْسَل مثل الخَصَلْ
١٧٦- وحولَهمَا زَفَراتُ الزِّحامِ ، وأذْنٌ تَميلُ ، ورَأسٌ يُطِلْ
١٧٧- وغَمْغَمَـةٌ وحـديثٌ خفِـيٌّ ونغْيَهُ زَارٍ ، وآتٍ سَأَلْ
١٧٨- وعاشِـقَةٌ فِـي إسَارِ السَّوامِ وعاشِقًا فى الشَّراكِ احتُبِلْ
١٧٩- تُناديه ملهوفَةً تستغيثُ ضَائعَةُ الصوْت عنها شُـغِلْ

فَظَـلَّ يناجِـي نفسَـه وأمِـيـرهَا
أيأتِـي الَّـذى يُعطِـى بهـا أم يُجـاوِزُ
فقالُـوا لَـه بايِـعْ أخَـاك ولا يكُـنْ
لكَ اليوم عن ربـحٍ مِـن البَـيْـعِ لاهِـزُ

١٨٠-أعُوذُ بربِّىوربِّ السماءِوالأرضِ!ماذا يقولُ الرجلْ؟!
١٨١-أجَنَّ ؟! نعمْ لا ! أرَى سُورةً من العَقْل لا خَلجَاتِ الخَبَلْ !
١٨٢-وعَيْنَـىْ صفَاء كماءِ القَلات، و عِرْنِينَ أنْفٍ سَمَا واعْتَدلْ
١٨٣- وجَـبهةَ ذاكَ ، نمَـاهُ النَّعيمُ فى سؤْدد وسراءٍ نَبِلْ
١٨٤-أيعطَـى بها المالَ ؟هذا الخَبَالُ! قوسٌ ومالٌ كهَذا ؟ ثَكلْ !
١٨٥-ويارِبِّ !يارِبِّ !ماذا أقولُ ؟ أقولُ نعمْ ! لا فَهذا خَطَلْ

١٨٦- أبيعُ !! وكيف ! لقد كادَنى بعَقلى هذا الخَبيثُ المَحَلْ
١٨٧-أفارقُها ! ويْكَ !هذا السَّفَاهُ ! قومِى! كلا !خدينى وَخَلْ !!
١٨٨-أجلْ !! بلْ هو البؤس بادٍ علىّ ! فأغراهُ بى ! ويْحَه !ما أضَلْ !!
١٨٩- يُسَاوِمُنى المالَ عنْها ؟! نعم ! . إذا لَبِس البؤسُ حُرًا أذَلْ
١٩٠- إذا مـا مَشى تزْدَريه العُيُونُ ، وإنْ قالَ رُدَّ كَأن لَم يَقُلْ
١٩١- نعم ! إنه البؤسُ !! أينَ المَفَر من بَشَرٍ كذئاب الجَبَلْ ؟!
١٩٢- ثعالـبٌ نُكْـر تجيدُ النِّفاقَ حيثُ تَرَى فُرصةً تُهْتَبَلْ
١٩٣- كـلابٌ مُعَـوَّدَةٌ للهوانِ تُبَصْبِصُ بينَ يَدى مَنْ بَذَلْ
١٩٤-فويْحِـى مِـن الـبُؤس ! ويلٌ لهم ! أرَى المالَ نُبْلاً يُعَلى السَّفَلْ
١٩٥- فخذْ مَا أتيتَ به .. !! إنَّه مَليكٌ يَخافُ ، وربٌ يُجَلْ
١٩٦-وسبحانَ ربِّى ! يَدى !ما يدى ؟ بَريتُ القِسِىَّ بها لم أمَلْ!
١٩٧-حَباتى به فاطِرُ النَّيْرَاتِ وبَارِى النَّبَاتِ ومُرْسِى الجَبَلْ!
١٩٨- وأوْدَعَهـا سِـرَّها عـالمٌ خَبيرٌ بِمكْنُونِها لمْ يزَلْ !
١٩٩-وفى المال عون على مثلها !وفى البؤس هون،وذل،وقُلْ!
٢٠٠-تنادَوا به:أنتَ؟ماذا دهاكَ؟مالك ياشيخ؟ قل يا رجلْ !
٢٠١- وآت يصـيحُ،وكفٌ تشيرُ،وصوتٌ أجشُّ،وصوتٌ يَصِلْ !
٢٠٢ وطَـنَّتْ مسَـامعُه طـنَّةً .. وزاغَتْ نَواظِرُه واخْتَبَلْ
٢٠٣- وأفْضَـى إلـيه كَهَمْـسِ المريضِ أشْفَى على الموتِ ما يَسْتَقِلْ
٢٠٤- تـناديه : ويْحَكَ ! ويْحِى !! هَلَكْتَ !! أتوكَ بِقَاصِمَةٍ ! وأنْكَلْ !
٢٠٥- تلفَّـت يَصْـغى ومثْلُ اللَّهيبِ ضوضاءُ وَعْوَعَةٌ فى زَجَلْ
٢٠٦- فهذا يؤُجُّ ، وهذا يَعَجُّ.، وهذا يَخُورُ. وهذا صَهَلْ !
٢٠٧-ودانٍ يُسَرُّ.، وداعٍ يَحُثُّ.، وكفٌّ تُرَبِّتُ :بُعْ يا رَجُلْ !
٢٠٨-لقـد باعَ!بُعْ!بَاعَ!الا لمْ يَبِعْ!غنَى المالِ!ويْحَكَ!بُعْ يَا رَجُلْ !
٢٠٩- (وحَشْرَجَةُ المَوتِ : خُذْنى .. إليكَ !!
- لَبيك !! لبَّيْك !)
بُعْ يا رَجُلْ !!
٢١٠- (أغِثْنى ! .. أجَلْ !)
باع ! ماذا ؟! أبَاعَ ؟! نَعَم باعَ قَد باعَ ! حَقاً فَعَلْ ؟!

٢١١- (أغثنى ! أغثنى ! نعَم)
قدْ رَبِحْتَ !!.. بُورِكَ مَالُكَ !
أيــنَ الرَّجُــلْ ؟!
٢١٢- مَضَى ! .. أينَ ! .. لا لسـتُ أدْرِى ! .. مَـتَى ؟
لقدْ بِعْتَ ؟! .. كَلا وكلا .. أجَـلْ !
٢١٣- لَقَد بِعْتَ ! قَدْ بِعْتَ !
- كَلاَّ ! كَذبتْ !
لقد بِعْتَ ! قد بَـاع !
- ويْحـى ! أجَـلْ
٢١٤-لقد بعتُها .بعتُها.بعتُها جزيتُمْ بخير جَزاءِ ،أجَـلْ!!..
٢١٥-أجلْ بعتُها.بعتُها.بعتُها! أجل بعتُها !الا ،أجَلْ لا ، أجَلْ
فلمَّـا شَـراهَا فَاضَـت العـينُ عَبْـرةً
وفى الـصَّـدْر حـزَّازٌ من الوجْـدِ حَامِـزُ
٢١٦- أجلْ .لا أجَل بِعتُها ! بعتُها ! أجل بعتُها ! بعتُها ! لا أجَلْ
٢١٧- وفاضَـت دُموعُ كمثْلِ الحَميم لذَّاعةً ، نارُها تَستَهِلْ
٢١٨-بِكاءً من الجَمْر جمْرِ القُلُوبِ ،أرْسَلها لاعجٌ من خَبَلْ
٢١٩-وغَامتْ بعيْنيه، واستَنْزَفَتْ دَمَ القَلْبِ يَهْطِلُ فيما هَطَلْ
٢٢٠- وخَانَقَةً ذَبَحتْ صَوْتَهُ ، وهيضَ اللِّسَانُ لها واعْتَقَلْ
٢٢١- وأغْضى على ذِلةٍ مُطْرِقًا ،عليه من الهَمِّ مثل الْجَبَلْ
٢٢٢- أقامَ .وَما إنْ به من حَراكٍ، تَخَاذَلَ أعْضَاؤُهُ كالأُشَلْ
٢٢٣-وفى أذُنيه ضجيجُ الزِّحامِ ،وبُيِّعَ باعَ،بع باع ،بِعْ يا رَجُلْ!
٢٢٤- وأخْلَـدَ فى حيْثُ طَار السوَامُ بمُهْجَتِه ، كأرُومٍ مَثَلْ
٢٢٥-كأنَّ صخْرةً نبتتْ، حيث قامَ، تمثالُ حزْنٍ صَلُودٍ عُتُلْ
٢٢٦-ومِـن حـولَه الناسُ مثلُ الدُّبَى عجَالاً تَنْزَى، دَهَاهُنَّ طلْ
٢٢٧- فمِن قَائِلٍ : فَازَ ! ردَّت عَليه قَائلةٌ : ليْتَهُ ما فَـعَلْ!
٢٢٨-ومِـن هَـامِسٍ :ويْحَـهُ ما دَهَاهُ !ومنْ منْكِرٍ:كيفَ يبكى الرَّجُلْ!
٢٢٩- ومِـنْ ضَاحِكٍ كَركَرتْ ضحْكَةً له من مَزُوحٍ خَبيثٍ هَزَلْ
٢٣٠-ومن ساخِرٍقال:يا آكِلاً !تَلَبَّسْ فى سَمْتِ منْ قَدْ أُكِلْ!

٢٣١- ومـــن باسطٍ كَفَّهُ كالمُعَزَّى وهيْئَتِه غَمْغَمَتْ لمْ تُقَلْ
٢٣٢- ومـــن مُشْفِقٍ سَاقَ إشْفاقَهُ وَوَلَّى ، ومُلْتفتٍ لمْ يُوَلْ
٢٣٣- وســالتْ جمُـوعُهُم فـــى الرِّمَال.وماتَ الوَغَى.غيْر حسٍ يَصِلْ
٢٣٤- وأسْفر وانْجابَ دَاجِي السَّوادِ عنْ مُخْبِتٍ خاشعٍ كالمُصَلْ
٢٣٥- وظَـــلَّ طويلاً .. لهُ سبْتَةٌ وإطْراقَةٌ ، وأسًى ينْهَمِلْ
٢٣٦- أفاقَ وقَيْذًا ، بَطِئَ الإفاقَة ..يرْفعُ من رأسِه بالمُطَلْ
٢٣٧-وقَلَّبَ عيْنَيْه :ماذا يَرى ؟ وأيْنَ الزِّحامُ ؟ وأينَ الرِّجَلْ !
٢٣٨-رَأى الأرضَ تمْشِـــى بهم كالخَيَالِ ، أشْباحُهُم خُشُبٌ تَنْتَقِلْ
٢٣٩- وهـــامٌ محلَّقَـــةٌ رُجَّفٌ ، وأخْرى بدَتْ كَنَزِيعِ البَصَلْ
٢٤٠- وأغربةٌ : بعضُها جاثِمٌ يحرِّكُ رأسًا ، وبعضٌ حَجَلْ
٢٤١-وحياتُ وادٍ ، لشمْسِ الضُّحى تُلَوِّى حَيازِيمَهَا والقُلْ
٢٤٢- وأرْقَلَةٌ من ضِباعِ الفَلاةِ تَخْمَعُ من حَوْلِ قَتْلَى هَمَلْ
٢٤٣- وَهَـــنًّا وَهَـــنًّا ضَبَابٌ مَرَقْنَ من كُلِّ حُجْرٍ لسَيْلٍ حَفَلْ
٢٤٤- وثَـــوْبٌ يَطِيرُ بلا لابِسٍ ، يَمِيلُ مع الرِيحِ أنَّى تَمِلْ
٢٤٥- تمَطَّى به البغْثُ من نضْنَة ،ومن سِنَةٍ كفُتُور الكَسَلْ
٢٤٦- ودبَّـــت إلـــيه بَقَايا الحَيَاة ، فرَفَّعَ أعْطَافَهُ واعْتَدَلْ
٢٤٧-وظلَّ ينازِعُ كبْلَ الذهولِ ويحْتَلِجُ النفْس من أسْرِ غُلْ
٢٤٨-كَنَاشِـــطِ ثَقْـــلٍ طويلِ الرِّشاءِ من هوَّةٍ فى حضيضِ الجَبَلْ
٢٤٩- رويـــدًا رُويـــدا فـــثَابتْ لـــه مُلْجَلِجَةً يعْتَرِيهَا هَلَلْ
٢٥٠-ومـــثل الحمامةِ بين الضلوعِ قد انْتَفَضَتْ من غَواشِى بَلَلْ
٢٥١- يُقَلِّـــبُ جُمْجمـــةً ، خَالَهَا كجُلمودِ صخْرٍ ركينٍ حمَلْ
٢٥٢- فلأيـــاً بـــلأيٍ وآبـــتْ له مُبعْثِرةً من أقاصِى العِلَلْ
٢٥٣- ونَفَّـــس عن صدْرِه زَفْرةً ، وخَامرهُ البُرْءُ حتَّى أبَلْ
٢٥٤-أحَسَّ بكَالْجَمْرِ فى رَاحتَيْه:سَعِير تَوَقَّد !مَاذا احْتَمَلْ ؟
٢٥٥-ويبْسُط كفَّيه: ماذا أرى جوابٌ حثِيثٌ ولَو لَم يَسَلْ !!
٢٥٦-عـــيونٌ تُحَملقُ فى وجْهه ،من الخُبْثِ تَزْهَرُ أو تَأتَكِلْ !!
٢٥٧-(أجَـــلْ بعـــتُها ! بعتُها بعتُها !. بقَاءً قليلٌ ودنْيا دُوَلْ!)

٢٥٨-وألقَى الغِنى للثَّرى ! وانتَحَى ونفَّضَ كَفَّيْه :حسبِي! أجَلْ)
٢٥٩- وألقَـى إلى غَاليات الثِّياب والبُزِّ نظْرةَ لا مُحْتَفِلْ !
٢٦٠- وولَّى كئيبا ذليلَ الخُطا ، بعيدَ الأنَاةِ ، خَفِيَّ الغُلَلْ !
٢٦١- وأوْغَـل فى مُضْمَرات الغُيُوبِ يطْوى البَلابِل طَيَّ السِّجِلْ
٢٦٢- أرادَ لينْسَـى وبـين الضلوعِ نَوافذ من ذكْرِ تَنْضَلْ
٢٦٣- فأخْـيتْ صَـبابته، والجراحُ دماءً مُفزَّعةً لم تَسِلْ
٢٦٤- تُريه الرُّؤى وهو حَى النهارِ، وتسْرى به وهو لم ينْتقل
٢٦٦- ويَبْسـط كفَـيْه مسـتغْرقاً ، فتَحْسبهُ قارئاً قدْ ذهَلْ
٢٦٧-يَرى نِعْمةً لَبِستْ نِقْمةً ، ونوراً تَدَجَّى ، وسِحْرا بَطَلْ
٢٦٨- وآيَتَهُ عاثَ فيها الشُّحوبُ فأنكرَ من لونِها ما نَصَلْ
٢٦٩- وأسـرارَها قَضَّها طائفٌ له سطوةٌ وأذًى حيثُ حَلْ
٢٧٠- وسَحْقَ غشَاء على أعْظُمٍ ، تَهَتَّكَ مثلَ الأديمِ النَّغِلْ
٢٧١- ومسَّـتْ أناملَـهُ رجْفةً ، تساقطَ عنها سَناها وزَلْ
٢٧٢- وأفضَـى بنظْرته نَافذاً إلى غيْبِ ماضٍ بَهيمِ السُّبُلْ
٢٧٣- تـلاوَذُ أشباحُهُ كالذَّليلِ ، بلُغزِ نخيل ، وداجٍ دَغَلْ
٢٧٤- وأسْـودَةً خطفتْ فى الظلامِ هاربةً من صَيُودٍ خَتَلْ
٢٧٥- وطيـراً مُـروَّعةً أجْفَلَـتْ ، وآمنَ طَيْرٍ وديعٍ هَدَلْ
٢٧٦- وشـقتْ له السَّدَفَ الغاشياتِ حسناءَ ضَالَ عليها الحُلَلْ
٢٧٧- أضـاءَ الظـلامُ لها بغْتةً ، وقوَّضَ خيْمَتَهُ وارتَحَلْ
٢٧٨- أطلَّـت له من خلالِ الغصُون عذراءُ مكنونةً لمْ تُنَلْ
٢٧٩-رَأى غـادةً نُشِّئَتْ فىالظلالِ ظلالِ النعيمِ"عليها الكُلَلْ
٢٨٠- عـروسُ تَمايـلُ مختَالةً ، تميت بِدَلٍ ، وتُحْيِي بِدَلْ
٢٨١- ونادتْـه ، فارْتَدَّ مُسْتَوْفزاً بِجُرحٍ تَلَظَّى ولَمْ يندمِلْ :
٢٨٢-أفِقْ! قَد أفَاقَ بها العاشِقون قَبلْك، بعدَ أسَى قَدْ قَتَلْ !
٢٨٣-أفِقْ!يا خَليلي!أفِقْ!الا تكنْ حليفَ الهُمومِ،صريعَ العِلَلْ
٢٨٤-فهذا الزمانُ، وهذى الحياةُ،علمتَنيها قديماً : دُوَلْ !!
٢٨٥-أفِقْ!الا فقَدتْكَ! ماذا دهَاكَ؟ تمتَّعْ ! تمتَّعْ!بها !الا تَبْلْ !

٢٨٦-بصنْع يديكَ تراني لديكَ ،في قَدِّ أختي ! ونِعْم البَدَلْ !
٢٨٧- صـــدقتِ ! صدقتِ ! وأين الشبابُ ؟ وأين الوَلوعُ ؟ وأين الأمَلْ
٢٨٨-صدقتِ صدقتِ !! نعم قد صدقتِ ! وسر يديك كأن لم يزلْ
٢٨٩-حباكَ به فاطر النيِّرات،وبارِى النبات،ومُرسِى الجَبَلْ
٢٩٠- فقمْ ! واستهلْ ، و سبِّحْ له ! ولبِّ لربٍ تعالى وَجَلْ

... وأســتغفر الله فإلا تكن رضيت فقد أملَلْتُك ، وإذا أنا قد أسأت من حيث أردت الإحسان .. ولكنك بعثت كوامن نفسي منذ رأيتك فتوسمت وجهــك وعــرفت فــيه شــيئاً أخطأته فى وجوه كثير من أهل زماننا فأحببت أن أعظك وأعظ نفسي بنعمة الله على عباده ، إذ جعل بعضهم لبعض قدوة وعبرة وآتاهم من مكنون علمه مالا يغفل عنه إلا هالك ، ولا يضيعه إلا مستهين لا يبالي . وقد بلغنا رسول الله عن ربه بلاغاً يضئ لكل حي نهج حياته ويمسك عليه هدى فطرته إذ قال : " إن الله يحــب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " وقال : " إن الله كتب الإحسان على كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته " فانظر إلى أين كتب الله علينا أن نبلغ فى إتقان ما نصنع وإحسان ما نعمل !

هذه دراسة فى زاوية أخرى من زوايا متعددة سبقت دراسة " القوس العذراء " ،دراســة تكشــف عن حيوية الصيغ الزمنية وحوارها وارتدادها على بعضها فى كشــف عن الصراع الحركي داخل بنية القصيدة ، صراع المعاني والمواقف ، إنها دراسة تسهم فى رؤية أخرى بجانب الرؤى السابقة .

إن تحــاور الــزمن فــى بنية القصيدة من خلال الماضي المشرق بتراثه،وبين الحاضــر بإهماله وعبثيته (القوس / القواس) فى الفترة الزمنية التى خرجت فيها هــذه القصــيدة (١٩٥٢ م) تــؤكد أن هــذه القضية ستظل تحيا، وسيظل الزمن الماضــي والمضــارع والمستقبل يتحاورون،كل زمن يلتفت نحو الآخر بشأن هذه القضية، تحاوراً والتفافاً لا ينقطع ، وكأن الشيخ محمود شاكر كان يستشف أن هذه الحــال لا تنتهــي بســرعة، ومساعي التغريب عن التراث والعبث به ومحاولات إقصــاء اللسان العربي ، ومحاولات بتر السيقان عن الجذور، مازالت تعمل، فليفق أهل العربية وأهل التراث الحضاري ، ولتفق الأمة قبل أن تندثر وتباع .

- فَقُم واستَهلَّ وسبَحْ لهُ ! ولبِّ لربِّ تعالى وجَلْ

وقبل أن نتناول هذا النص الإبداعي البعيد الأغوار ، الكثير الرؤى والتفسير، قبل أن نقـف على دور الزمن وكيف وزعه الشيخ شاكر، وكيف جعل من هذا التحاور الزمني بعداً لا يجب إغفاله حين قراءة هذا النص قراءة مبدعة، نقول قبل كل ذلك علينا أن نقـف على البدايات التالية منتبهين لعدم التكرار لما سبق درسه ، واقفين على ما يمثل مدخلاً طبيعيا لدراسة النص من خلال هذا المنظور السابق .

القـوس العـذراء ([١٥]) عمـل إبداعي تناوله الدارسون العظام بالدرس والتحليل، وكان لكل باحث رؤيته ومدخله وتحليله ومنهجه ، والنص بعد ذلك لا ينصب معينة ، فشـعرية النص – كما هو معلوم – يأتي من كونه لغة فى لغة ، وهو فى ظاهرة المطروح على الورق لغة، فى حين أن هناك عالم لغوى آخر مختلف مختبئ وراء هذا الشكل المطروح "وبما أن النص الإبداعي يتسم بالاختيار والتوزيع والكثافة فإن ذلـك يجعله يتسم بالهيبة وعدم التعجل نحو ثبر أغواره، كما يجعله حراً طليقا غير مقـيد، تـنداح منه التأويلات والرؤى دون أن ينضب، وما دام النص – إذن– بناءً لغوياً فالأحرى هو استقراء هذه اللغة بدلالتها و إفرازاتها وعلاقاتها مع بعضها .

٢– مـن هـذه الدراسات –وهى كثيرة –التى قامت حول النص ، دراسة الدكتور ذكـى نجيب محمود تحت عنوان " القوس العذراء " ([١٦])، ويرى أنها قصة تروى أن سـعادة الإنسـان هي فى أن يعمل ما يحب ، أما إذا عمل شيئاً وأحب آخر فقد

١٥– نشرت لأول مع فى مجلة " الكتاب " نشر دار المعارف بمصر فى الجزء الثاني من المجلد الحادي عشر، جمادى الأولى سنة ١٣٧١هـ، فبراير سنة ١٩٥٢،ثم تعددت بعد ذلك طبعاتها .

١٦– مجلة الكاتب العربي، العدد ١٥ سنة ١٩٦٥، ص:١١ حتى ص:١٥، وطالع أيضاً : مجلـة الأدب الإسلامي مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية العدد ١٦ لسنة ١٤١٨ هـ، ص:٨٢

أصـــبح العمـــل بهـــذا الفصام نقمة أبتلى بها البشر، وما كان ينبغي له (١٧) ومنها دراسة " إحسان عباس " تحت عنوان " القوس العذراء " (١٨) وفيها يرى " القوس " رمزاً للعمل الفني المتقن أو العمل الفني أو علاقة الفنان بفنه .

ومـــنها دراسة الدكتور / محمد مصطفى هدارة " القوس العذراء رؤية فى الإبداع الفنـــي " (١٩) وفيها يرى أن محمود شاكر أراد أن يعبر عن دورة الحياة الطبيعية التـــى تـــتجدد فـــى الناس والأشياء ، كما أراد أن يعبر عن الحياة القوية فى النفس الطامحـــة القـــادرة التى لا تركن إلى اليأس ولا تقتلها الهموم، أراد أن يقول : أن الإنســـان القـــادر على صنع التمثال الجميل إلى درجة عشقه، ونسيان مادته، قادر أيضـــاً علـــى تحطيمه وإعادة صنعه، الارتداد إلى الحقيقة التى نسيها زمناً، إن هذا الخـــتام يعبر عن فلسفة التفاؤل والإيمان بقدرة الإنسان وشموخه، وبأنه مزاج حي للعقـــل والعاطفة والتخيل والواقع، فلا يضيع فى جنبات العواطف والأوهام، وتأتى بعد ذلك دراسة الدكتور محمد أبو موسى بعنوان " القوس العذراء وقراءة التراث " (٢٠) . وتأتـــى دراسة د . سعد أبو الرضا بعنوان " القوس العذراء وعشق التراث " يقـــول فيها " إن القوس العذراء رسالة فنية قد كتبها محمود شاكر إلى شفيق متري صاحب دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٢، لكنها رسالة غير عادية لأنه يتناول فيها بالحـــديث علاقة الإنسان بالعمل الذى يتقنه ، وعلاقة الفنان بما يبدعه ، هما أمران إنســـانيان عامان ، والكاتب بذلك يرقى بما هو فردى إلى المستوى الإنساني العام ،

١٧- مجلة الأدب الإسلامي ، مرجع سابق، ص:٨٥ ما بعدها .

١٨- طالـــع كـــتاب دراســـات عربية وإسلامية مهداه إلى أديب العربية الكبير أبى فهد . محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين . مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٨٢ م،ص: ٣- ١٥، وطالع مجلة الأدب الإسلامي : مرجع سابق، ص:٨٦ وما بعدها

١٩- طالـــع كـــتاب دراسات عربية وإسلامية ، مرجع سابق ،من ص: ٤٥٧ ، ٤٧٨ ، ومجلة الأدب الإسلامي ، مرجع سابق، ص:٩٤ وما بعدها

٢٠- د. محمـــد أبو موسى . القوس العذراء وقراءة التراث ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ١ ١٤٠٣ هـــ ، ١٩٨٣ م

كمـــا يتسامى بما قد يكون شخصياً إلى أرفع المستويات الإنسانية، مستلهماً فى ذلك التراث العربي ممثلاً فى لغته بصفة عامة، وفى قصيدة الشماخ بن ضرار الشاعر المخضـــرم بصفة خاصة " (٢١) ويرصد الدكتور سعد أبو الرضا فى هذه الدراسة ملامـــح الإبـــداع فى النص ، راصدا بعض أشكال التناص مع القرآن الكريم لفظاً ودلالة فى أكثر من موضع (٢٢) وكذلك علاقة الشيخ شاكر بالتراث وعشقه به (٢٣) وتأتـــى الدراســـة الأخيـــرة للدكتور عبده زايد بعنوان " القوس العذراء " الصوت والصدى " (٢٤) ورصد فيها العلاقة بين الصوت " الشماخ " وبين الصدى " الشيخ محمود شاكر " ومدى مغايرة الصدى للصوت (٢٥)

٣- القـــوس العـــذراء نص شعري كُتب عام ١٩٥٢ م، مستلهماً قصيدة الشماخ " معقـــل بـــن ضـــرار " الصحابي الجليل الذى توفى سنة ٢٢ للهجرة (٢٦) ، ونص الشماخ بلغ ثلاثة وعشرين بيتاً، بينما بلغت قصيدة الشيخ شاكر مائتين وتسعين بيتاً، والنصان يقومان حول قواس صنع قوساً وقام علية متهماً به ثم باعه .

إن القـــوس فى نص الشماخ رمز ومقوم من مقومات الحياة، إنه يمثل القوة، يمثل مصـــدراً مـــن مصادر الرزق، يمثل رمزاً للبقاء والوجود، إنه رمز الحياة ، أليس بالقـــوس يصـــطاد مـــا يعيشـــه، أليست تمثل له وسيلة من وسائل الدفاع والحماية والأمـــان، والعربي القديم بغير هذه الأدوات ضعيف مهدد، محوج دائما، و الشماخ حيـــنما جاء بهذه النهاية المؤلمة، بيع القواس قوسه إنما أراد أن يقول : إن الإنسان بفقده أسباب وجوده وكرامته وعزته حينئذ ستكون النهاية .

٢١- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق ،ص:١٠ وما بعدها

٢٢- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع السابق، ص:١١٢

٢٣- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، : ص:١١٨

٢٤- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص:١١٨ وما بعدها

٢٥- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق ،ص:١٢

٢٦- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق ص:٦٩

٤- ماهية القوس والقواس عند الشيخ شاكر .

سبق أن أشرنا إلى أن النص الإبداعي، كثير الرؤى والاحتمالات غنى بالإفرازات، غنـــى بالتأويل والتحليل، إن رؤيتنا لماهية القوس والقواس تلتحم مع دراسة الزمن الـــتحاماً يـــؤكد هذه الرؤية ويدعمها، فما هي-إذن- هذه الماهية؟حين نبحث عنها نجدها :

أولاً : من خلال الكاتب نفسه وعلاقته بجيله ورؤيته له، وزمن إنشاء هذه القصيدة.

ثانياً : من خلال دراسة الزمن الذى يشكل شفرة فهمه وثبر أغواره .

القـــوس والقـــواس مـــن منظور شاكر (٢٧)نجده فى قوله " أما القوس العذراء فقد نشرتها لإيماني بمدى أهميتها، وأهمية أن يقرأها أبناء هذا الجيل، فهي ليست كلمة عابـــرة ، وإنما قصة بدايتها أن يتأملها، وأن يقرأها قراءة مركزة وليست سطحية " (٢٨) ويقـــول عـــن معاصريه ممن يعبثون بأقدار هذه الأمة، ويبدلون الحقائق عن وجههـــا لأجل مال زائل رخيص " فهم يبدلون ما يقع تحت أيديهم تبديلاً فاحشاً ... فهـــم يـــتعاملون مـــع الكـــتب ليس من منطلق الالتزام الثقافي أو الأخلاقي " وإنما يدخلـــون هـــذا المجال من باب الارتزاق، وهذا كل ما فى الأمر ... وهى ظاهرة عامـــة شـــملت الهندســـة والطب ومعظم المجالات الإبداعية فى بلادنا (٢٩) ويقول الشـــيخ محمود شاكر عن هذا الجيل " فإن هذا الجيل الذى نراه منزوعاً من أصوله نزعاً كاملاً ... الجيل الذى نشأ فى السنوات الأخيرة، كله منزوع من أصوله نزعاً كـــاملاً ، وأنه لا بقاء لأمته، لا بقاء لأمته بغير حصيلتها الماضية بغير هذا التيار المـــتدفق، وذلـــك التـــيار الفكري واللغوي الذى يعيش به الإنسان، والإنسان يعيش

٢٧- إن رؤيتـــنا لماهـــية [القوس /القواس] لا تخرج عن وجهة نظر كثير من الباحثين،" طالـــع على سبيل المثال: دراسة الدكتور سعد أبو الرضا: القوس العذراء وعشق التراث، مجلـــة الأدب الإسلامي ، العدد:١٦، لسنة:١٤١٨هـــ، ص:١٠٤، ولارتباط منهج البحث بإثبات هذه الماهية، كانت هذه الماهية .

٢٨- مجلة الأدب الإسلامي ، مرجع سابق ،ص:٦١

٢٩- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص:٦١

بلغته، فهذا الانفصال بين "الماضى والحاضر" قاطع بأن كل طريقة فى الحياة الأدبية سوف ينقطع أيضاً " (٣٠) وهو يركز على هذا الماضي، وهذا التاريخ الذى يمثل كيان الأمة فى حاضرها ، يقول " نعم لا تستطيع أي أمه أن تعيش بغير تاريخها ، والذي يريد أن ينشئ من هذا الزمن أمة أخرى عن طريق التوهم فهو مخطئ ، فتأسيس أمة جديدة ضرب من ضروب الخطأ ...إذا تحول التاريخ فلا يمكن أن يبقى إنسان على صورة صحيحة فى هذه الحياة " (٣١) إنه يصر على بيان هذا الغث القبيح الذى رآه بعينه ولمسه بعقله على حياة أمته، يقول " فقد انفتحت عيناي على شئ مخيف، وهو أنى أرى اكتساحاً كاملاً مروراً بالزمن للعقل العربي والمصري ، إني أرى توجيهاً شديداً لمحق كل شئ يمكن أن يكون له صلة بالحياة الصحيحة للفكر الأدبي فى المستقبل " (٣٢)

ويكرس رأيه فى النهاية قائلاً " ومعنى هذا أن هذه المعركة ليست معركة أدبية، إنما هي معركة سياسية بمعنى أنهم يمنعون الأمة مما يجب، وما ينبغي أن تكون عليه خاصة فى مصر، لأني كما قلت لك أعتقد أن تاريخ الأمم هو تاريخ النفس الإنسانية فى تعبيرها عن ذاتها، فإذا حمق هذا التعبير الحقيقي فقد انتهت الأمور " (٣٣)

لم يعد لنا بعده الرؤى لمحمود شاكر إلا أننا نقول إن " القوس " عند شاكر يمثل الأمة بتاريخها، يمثل هذا التراث العظيم، هذه الحضارة العربية الإسلامية، يمثل اللغة العربية بتاريخها ومجدها الذى يمثل هوية الأمة

" والقواس " عند شاكر هو أبناء هذه الأمة من المهملين، من هذا الجيل الذى رآه منزوعا عن أصوله، نزعاً كاملاً، فأهمل ما فى يده، ومن قبل أهمل هذا الإرث

٣٠- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص:٥٩

٣١- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص:٥٩

٣٢- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص:٥٩

٣٣- مجلة الأدب الإسلامي، مرجع سابق، ص:٥٩

العظـــيم ، أهمـــل ذاته، فلم يعد يفهم حقيقة وجوده، فأطاح بكرامته وعزته دون أن يدرى، أو يدرى، فالأمر على حد سواء ، موت وانتهاء .

إذن فالشـــيخ شـــاكر يقع تحت صراع زمنين "الماضي"، بما يجب الحفاظ عليه والعـــض علـــيه بالـــنواجذ، و"الحاضـــر" بلهوه واقتلاع عرى الاتصال بينه وبين الماضـــي، ولاشك أن الشيخ شاكر كان يعايش ماضيا، متواجدا فيه، متناغما معه،" فمـــا يسمى علاقة الإنسان بالكون إنما يعني في المقام الأول تكيف الإنسان مع أهم عامـــل مـــن عوامل الكون، كنظام متناغم مع الإنسان ألا وهو معايشته داخله، أي تواجد الإنسان في الزمن.."([٣٤])

وبعد فهل استطاع الزمن بصيغتيه الماضي والمضارع (الحاضر) فى بنيه النص أن يـــؤكد هـــذه الحقيقة، إن دراسة الزمن فى النص تكشف لنا عن جانب مهم من جـــوانب الصـــراع الذى يعد أساسا من أسس بلاغته، ويكشف عن إبداع اللغة فى أســـمى ما تتسم به، كما تكشف دراسة الزمن عن مقدرة الشيخ شاكر على استخدام الفعل بأزمنته المختلفة تجاه نماء وثراء الدلالة المطروحة .

لـــنذهب-إذن- إلـــى الـــنص ونـــتفقد حركية الزمن فيه من خلال المواقف التى رصـــدناها من خلال المقاطع التى لمسناها ، وهى مقاطع متصلة متآزرة نحو بيان رسالة النص وغايته،

قبل أن نبدأ بالمقطع الأول نود أن نشير بأن الأبيات من (١ – ٣٧) يستلهم فيها الشـــيخ شاكر نص الشماخ الذى يتحدث فيه عن عامر أخي الخضر وقوسه، رمزاً لعلاقـــة الإنســـان بما يتقنه، ويعد مقوما من مقومات وجوده الحضاري، ويأتي بعد ذلك النص حتى نهايته مشكلاً الحدث والقضية .

وعلينا أن ننوه عن الآتي قبل أن نقف على هيئات الزمن في النص، وعلاقته بالدلالة:

١- شَـــكَّلَ الحاضـــر المأزوم[أزمة الأمة في تراثها ومقوم وجودها] في شعرية

٣٤- لوديزمير، فلسفة الوعي بالزمن وأثرها في العمل الأدبي، ترجمة:محمد هناء متولي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ١٩٢٨/٢م، ص:٩٣

هذه القصيدة لحظة زمنية حادة لم يستطع الفكاك من قهرها.

٢- إن انثيال " الأفعال الماضية" ذات القدرة علي استقرار الدلالة وثباتها يوحي بتمركز النص حول " الماضي"، وحتى الأفعال "المضارعة" تنجذب في دلالتها نحو الماضي أو هي مؤازرة لتقنية السرد، كما يوحي برفض حاد لزمنية هذا الواقع، الذي يكابد منه الشاعر، و يتعذب فيه.

المقطع الأول : (٣٧ – ١١٦) .

فى هذا المقطع يتحدث الشيخ شاكر عن العلاقة الحميمة بين القوس والقواس، ومدى اهتمامه بها والقيام عليها والامتنان بها ووصفها ..

لكن كيف تحرك الزمن فى هذا المقطع، وكيف كانت النسبة بين الزمنين الماضى والمضارع، ودلالة ذلك كله على مسار الحدث؟

إن الشاعر وهو يسوق هذه الأحداث استخدم الزمن استخداما ماهراً، حيث جعل الزمنيين يتحاوراً ليفتح صراعاً بين حال مضى وحال حاضر، فالزمن –إذن– قد استخدام استخداما موظَّفاً نحو ثراء الدلالة ونموها، وبتأمل نسبة تردد كلا الزمنين، وجدنا الآتي:

أولاً : بلغت نسبة تردد الفعل الماضي " ١٤٢"مرة فى حين بلغ المضارع "٤٨" مرة ، وبتأمل الجهة التى يَحيل عليها الزمن النحوي وجدنا الآتي :

الزمن النحوي	القواس
الماضى	تجـــاوب، تـــردد، لم يزل، أوفى، رأى، عقل، رأى، صلى، نادتـــه، اســـتجاب، لم يبل، سل، انغل، هتك، انحنى، أنكل، رقاهـــا، اهتز، أعرض، انفتل، تردد، هزل، ساءته، عصته، أعـــد، عـــض، أشفق، انجفل، جسَّ ، غاظته، ألقى، أوصى، جفـــل، ســـبح، اســـتهل، أطاعته، بخل، أذاقته، تبين، جهل، أغضـــى، عجـــل، أهـــدى، عقل، جن، انبض، ضل ، ظل، نادته، آيا، باتا ، سأل، ذهل، نادته، طار ، بات

الزمن النحوي	القواس
المضارع	تخيرها، يمارس، يحت، يردى، يغمض، بادي، عيناه تسترقان، يحييه، يحيى، يفنى، لا يمل، يزلزله، تكلمه ،يزدهيه، يسكره .

الزمن النحوي	القوس
الماضي	ابتـــزها، رآهـــا ، فـــزعها، لواها، علمها، عرفها، أنكرت، تبيـــنها، حماهـــا، أخطأنهـــا، أتاها، نالها، اطمأنت، ناجته ، حازها، اشتد أملودها وانفتل، عصت، صاحت، استغلظت، لم تمتـــثل، ألقمها، اثبرت، تعرت، استهلت، لان ضغنها، ذاقها، أضمرت، رامها، أفضى بها، أهدى لها، تخيرها، رآها، أعد لهـــا، تجلـــت، مســـها، حنت،كفلها، تخيرها، رآها، أعدلها، تحلـــت، مســـها، حـــنت، كفلها، ضمت، أرنَّت ، صاحت ، رضيت، باتا، ساهرها، أهلكتنى، كساها، ألبسها

الزمن النحوي	القوس
مضارع	تكـــوى، تطل،تجف، وتشرب، يقبلها، يعرضها، تستبد بها ، يجـــردها، تـــذل، تعف، لا تبذل، تلين، تأبى، تستظل، تبكى، يفجعها، ترى، يسألها، تبادل، يغازلها، تتاسمه

قراءة المقطع الأول:

أولاً :إن استقراء الماضي والحاضر فى المقطع الأول يؤكد حقيقة واضحة وهى أن كلاً من "القواس والقوس" يحتكران أغلب أفعال الزمنيين النحويين، وهذا لا شك – يؤكد أن القصيدة كلها – كما سيتضح – تتوزعها ثنائية القواس / القوس، وكان حظ "القـــواس" من الماضي بوصفه زمنا نحويا، وظفه الشاعر فى تأكيد اهتمام ماضوي علـــى مســـتوى الدلالـــة، دلالـــة اهتمام وإعداد القوس/ التراث والحضارة العربية الإسلامية، وعلى مستوى الزمن التاريخي، حيث إن الشيخ أبدع النص على أحداث آلمـــته، وقـــع فيها أبناء الأمة، حيث إهمالهم مقومات كرامتهم ووجودهم، وقد كثر ذلك فى كثير من الظواهر التى أشار إليها الشيخ شاكر (٣٥)

فنادَتهُ من كنِّها فاستجاب : لبيك (ياقَدها المعتَدلْ)
سُتور مهدَّلة دُونَها ، وحُراسُها كرِمـــاح الأســـلْ

وهو يقبلها ويغنى لها :

يغنى لها وهو بادِى الشَّقاء بادى البذاذَةِ حتى هَزَلْ
يقَبلها بيدي مُشْفق لَهـــيفٍ لطيف ، رفيـــقٍ وَجـــلْ

فكـــم تحمل حماة الهوية العربية والإسلامية، حماة التراث المجيد، " بَادِى البَذَاذَةِ حتى هزل " مستعدين دائما للحفاظ على سيادتهم، حتى انصاع لهم الآخرون .

فساهَرهـــا يَزْدهِيه الجمالُ ويسكرهُ العَرْفُ حتى ذَهَلْ

٣٥- طالع : الحوار الذى أجراه د . نجم عبد الكريم مع الشيخ محمود محمد شاكر، مجلة الأدب الإسلامي العدد "٦"، مرجع سابق ص:٥٦

فنادته : ويحك أهلكتني: أغثني.. هذا الندى قد نـــزلْ
فطار إلى عَيْبةٍ ضُمِّنَتْ حريـــراً مُوَشَّى نَقِيَ الخمـــلْ
كساهـــا حَفِيٌ بها عاشـــق إذا أفرَط الحبُ يوما قَتَـــلْ

ثانـــياً: ان حظ القوس من الماضي يؤكد أيضاً اهتماما ماضويا بها، وحرصاً على اقتنائها :

[ابتَزها ، رآها – علمها – عرفها – تبينها – يؤدبها – اشتد أملودها وانفتل ...]

وقـــد تقاربـــت نسبة الأفعال الماضوية المتجهة إلى "القوس" بياناً واضحاً نحو مدى اهتمام "القوّاس" بها (مدى اهتمام الأوائل بتراثهم)

ثالـــثاً : كانت هناك أفعالاً متجهة نحو عوامل أخرى غير القوس والقواس ، وبلغت للماضـــي " ٣٩ " فعـــلاً، وللمضارع " ١٤" فعلاً وهذه الأفعال صورت جواً ملائما لتجسيد دلالة الأفعال الخاصة بـــ"القوس والقواس" .

رابعـــاً : كـــان اســـتخدام صيغة المضارع قليلاً فى المقطع الأول ، فالشاعر كان مشغولا بالحديث عن الماضي، ماضي العزة والثبات والقوة، ماضي التراث المشع علـــى العـــالم كلـــه، فنقله واهتم به واستفاد، ثم راح بعد ذلك يكسر قوائمه ويغير معالمه ، استعماراً وقهرا .

إن اســـتخدام الشـــاعر بعـــض صـــيغ "المضارع" داخل دائرة الزمن الماضي المتســـع، تجعـــل مـــن حركية الحدث وحضوره وتمثله أكثر وجوداً، كما جعل من تحاور الزمنيين نشاطاً للدلالة وبعداً لها عن السكون أحياناً.

ولنتأمل بعض الأفعال التالية فى بنية الزمن الماضي [يسابق،يقلها، يدركها، ترى، يغنى، يقبلها، يزلزله، تكلمه، يسألها، تغازله، تناسمه، يزدهيه، يسكره]

إن اتجـــاه المـــبدع نحـــو "الماضي" وعاءً للأحداث التى طرحها ، اعتزازاً بهذا الماضي المجيد سواءً على مستوى التراث أو على مستوى أهله ومحافظيه " القوس ، القـــواس"، هـــو الـــذى مـــنح الأفعال المضارعة – على قلتها – زمنها الماضي السياقي، ليتجسد الحوار بين الزمنيين "الماضي / المضارع" نحو غاية واحدة وهى الالـــتفات نحـــو تراث الأمة ومجدها التليد ، مع حركية الدلالة وحضورها فى بنيه

هــذه الأفعـــال ، بعد ذلك نستطيع أن نرصد حركية الزمن فى المقطع الأول على الشكل التالي :

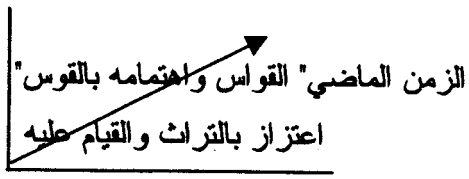

خامساً :

استعان الشاعر ببعض صيغ الزمن الماضي المضعّف ، مثل :

[ابتــزّ، فــزّع ، تصرّم ، صدّت،تدسّس، علّمها، تظلّ، تخّير،بيّنها، نشنّت، صلّى، هلّ،سلّ .. اهتزّ، تجفّ، يعرّض، اشتدّ، يؤدّب، تخّيرها ، ضمّت ...]

نقــول إن اســتخدامه هــذه الصيغ المضعفة فى الزمن "الماضي" أثْرَت الدلالة وكــثفت مــن الحدث، وبعد استخدام التضعيف من عوامل الإحساس بالشدة والبأس وهــو أي التضــعيف يــتولد -كما هو معلوم- من تكرار صوتي للحرف ، وهذا التكــرار يكــون ضــربة صوتية ذات وضوح سمعي متميز ، وهو يعبر عن قيمة انفعالــية تخــتلف عن غيره من الصيغ (٣٦) ،كما يعد الضعيف نوعاً من استثمار الطاقات التعبيرية التى تولدها بعض ألفاظ اللغة فى صور مورفولوجية بعينها، كما يعبر عن قيمة انفعالية عالية هي من أشد خصوصيات التشكيل اللغوي (٣٧) خاصة إذا علمــنا أن هــذا "التضعيف" وقع على أحرف مثل " ز " ، " س " وهى أحرف احتكاكــية ، الأول مجهــور (٣٨) والثانــي صــفيري (٣٩) والباء والدال حرفا ن

٣٦- طالــع: ابــن جنى : الخصائص ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٢ م، ص:٣ / ٢٦٤، ٤٤١، ابن فارس : الصاحبي ، تحقيق:مصطفى الشيمي، بيروت ١٩٦٤، ص:٧٠

٣٧- محمد العبد، اللغة والإبداع الشعرى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، طـ ٣، القاهرة، ١٩٨٩م، ص٦٤: .

٣٨-محمد كمال بشر . علم اللغة العام "الأصوات" ، دار المعارف ، مصر، ص: ١٢

٣٩- نفسه، ص: ١١٩

انفجاريـــان ([٤٠]) والمـــيم أنفـــى مجهـــور ([٤١])، وهذه السمات الصوتية التى تتسم بالوضـــوح السمعي عن غيرها المهموسة، وبانفجاريتها يقوى الحدث الذى يقصده المبدع .

المقطع الثاني :

وهـــو مكمـــل للمقطـــع السابق، حيث يبتدأ المقطع الثاني من البيت " ١١٦ " حتى البـــيت " ١٤٠ " وفيه يستمر الحدث نحو تتمة العلاقة الحميمة بين "القواس وقوسه" ومـــدى اعتنائه بها وحرصه عليها واستمتاعه بها، وشموخه بوجودها، حتى التمهيد لفكرة البيع ، بيع [القوس / العزة والكرامة] وهذا شأن الأوائل قد حفظوا حضارتهم وثقافتهم واعتزوا بها فأعزتهم وسادوا بها العالم .

هذا وقد تردد الزمنان النحويان على النحو التالي :

رقم البيت	المضارع	الماضي
١١٧		تمتع ، ثمل
١١٨	يراها	تدلت ، استظل
١١٩	تصاحبه	نزل
١٢٠	يحرسها ، تحرسه	
١٢١	يجوب ،يعلو،يأوي ، يرقى	
١٢٢	يقضى	
١٢٣		
١٢٤	يرى	
١٢٥	يعلمها	انتقل
١٢٦		تساقى
١٢٧	يجرون	

٤٠- نفسه، ص:١٠١

٤١- محمد كمال بشر، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص:١٣٠

١٢٨		عتا ، أبى، غفل
١٢٩		دمدم
١٣٠	يخر ، يقر ،يميل	أفل
١٣١		زهدت ، فارق
١٣٣	تمل	
١٣٤		غابا ، وشى ، عذل
١٣٥	تذهل – تضئ	
١٣٦	تستهل	طال ، حنت
١٣٨	ترددە	
١٣٩		أصاخ، أصاخت، لبَّثه، امتثلت، امتثل
١٤٠		طارا

وعلينا أنى نلاحظ التالي :

أولاً : لـم تزد نسبة" الماضي" على "المضارع" بنفس النسبة التى زاد فيها الماضي فى المقطع الأول، فلقد زاد الزمن الماضي بنسبة بسيطة فقط على الزمن المضارع فـى هـذا المقطع كما هو واضح من الإحصاء الماضي : ٢٥، المضارع : ٢٠، وهذا بدوره يبين أن الحوار بين الزمنيين كان أنسب وأبين للحدث من حيث التفاعل بـين "القـواس والقـوس" ومن حيث التوازن بينهما، فكل منهما قد صان الآخر، و"المضـارع" لا يحـيل علـى الحال فقط كما هو الشأن فى دلالته، بل يحيل على إحساس نفسي تمتد آثاره نحو الماضي، حين كان أهل التراث يحافظون، يصونون، يقومون عليه بالحفظ والصون، ولنتأمل هذا الحوار بين الزمنيين :

١١٧ – تمتَّع دهراً بأيامِها و ليْلاتها نَاعماً قَدْ ثملْ

فكـم تمـتعت أمة العرب والإسلام بتراثها ، ثم عزت وسادت ، وكم ساد الأولون حيث ساروا .

١٢١- يجُوب الوِهادَ ويعلو النِّجادَ ويَأوِى الكهوفَ ويرقى القُلَلْ ..
١٢٦- وكيف تسَاقى بها الأوَّلون رحـــيقَ الحياةِ وخَمـــرَ الأمَلْ
١٢٧- و أين الأخِلاَّءَ كانوا بها يجـــرون ذَيـــلَ الهوى والغَزَلْ

و ينتهي الأمر إلى بداية الطامة، طامة البيع والإهمال فى المقطع التالي .

ثانـــياً : اســـتعان المـــبدع فـــى ثراء حركية الزمن فى هذا المقطع بالزمن الوقتي" الخارجي" ، مثل :

أيامها – ليلاتها – الليل – الزمان ، الدجى ، الحج .

وهـــذا الأزمـــان المســـتعة كانت وعاًء لتحرك الأزمة النحوية نحو تجسيد الدلالة المطروحة وبيانها .

وكانت هيأه الزمن على النحو التالي .

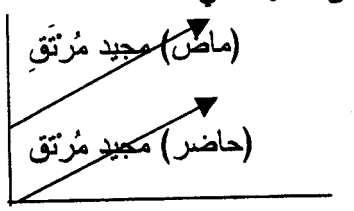

المقطع الثالث :

وفـــيه ينـــتقل الحـــدث نحو الطامة الكبرى ، طامة البيع ، والانحدار نحو الســـقوط (بيع القواس القوس / بيع المختبلة تراث حضارتهم ، ثقافتهم ، مقومات وجودهم) .

ولقـــد بلغ الحوار الزمني غايته ، نحو إثارة الحدث وتجسيده فى هذه المحاورة بين "القواس والقوس والمشترى" ، هي تبتدئ من البيت [١٤١ حتى البيت ٢١٥] ، حتى نهايـــة الأمـــل واقتراب المصيبة وحلولها ، فلم تنفع سبل ردع القواس / سبل ردع الخونة والضعفاء "المختبلون"عن نيتهم وطمعهم وانبهارهم بما هو زائل رخيص .

فـــى هـــذه الأبيات وظف الشاعر الزمنيين النحويين ، "الماضي / المضارع" توظـــيفاً أبان مدى توتر العلاقة بين "القوس / القواس" وهذا التوتر سيزال مستمراً

حتـــى نهايـــة القصيدة، وكان تصنيف الزمنيين تبعاً للجهة التى يحيلان عليها على النحو التالي:

الزمن النحوي	القواس
الماضي	وافى،ضـــل، أســـر، لبى، ترى ، رأى، أذنت، فديتك، حملت، تنكبت ، غفل ، أسلمها ، يرى ، قوم ، اعتمل فعلت أسلمتَني ، خالهـــا ، فديتكَ، نادته، ردَّ، دهاكَ ، اختبّل، قال، رد، لم يقل ، بـــريت، لـــم أمل، حباني ، دهاك، اختبل، أفضى، أشقى على المـــوت ، أتوكَ، تلفتَ، باع، لم يبع، باع، باع، فعل، ربحت، بعت ، لقد بعت ، بعت ، بعت ، باع
المضارع	مـــا له حرمة تَكفُّ أذى، ما تشتهيه، تغتفل، يقول، أقول، أبيع، أفارقها، أرى الحال، تناديه، تسأله، يقبض.

الزمن النحوي	المشترى
الماضي	تقاذف،مـــدَّ ، أخفى، أهلَّ ، أخفى، أفتر،قال، سأل، رأى ، قال، أفْـــدى، هـــزته ، لاذَ، قال ، فديتني، رمتها، أعطيت، له راية نضحت، قال
المضارع	يدانى، يبْدى، يمنى يديه تمس، يتيه، اشترى، يساومني ، ثعالب تجيد النفاق .

الزمن النحوي	الجمهور
الماضي	تَنَادَوا ، صهلْ
مضارع	آتٍ يصيحُ وكفٌّ تُشير ، صوت يَصِل ، هذا يَؤجُّ ، يعُجُّ ، دان يسرٌّ ، داع يحثُّ ، كف تُربِّتُ

الزمن النحوي	القوس
الماضي	استعجَلتْ ، ترامَتْ ، دَعتْ ، صاحَتْ ، هلكت ، بِعتها ، بعتُها ، بعتها
مضارع	أرى، تشتريها ، تستغيث، أعوذ ، أرى

الزمن النحوي	المشترى	القواس	القوس
الأمر	بعني ، خُذْ	دع،خُذِيني،بُعْ، بُع،بع، قل	خذنـــي، خذني، أغثنـــي، أغثني، أغثني

إن استقراء الماضي والحاضر فى هذا المقطع يتضح لنا التالي :

أولاً : إن القـواس قـد احتكـر معظـم الأفعـال" الماضية" ثم "المضارع" ثم يليه المشـترى، وهذا يؤكد أن هذا المقطع يتوزعه على مستوى الدلالة ثنائية [القواس / المشـترى] ، ولقـد لعـب الـزمنان دوراً كبيراً فى تجسيد هذه الدلالة، وبيان هذه المصـيبة (بـيع القوس / بيع التراث) فالماضي حيث انتهاء أمر هذا "القواس"، ووقوع الحدث وانتهاؤه، حتى أصبح الزمن الماضي وعاءً لأحداث تمت، وانتهت، فجسد بذلك فداحة هذا الإهمال، فقد وقعت الواقعة .

ثانياً : استعان الشاعر بصيغة " قد فعل " التى تدل على الماضي المنتهى بالحاضر (٤٢) والـتفات الشـاعر نحـو الماضـي منتهـيا بالحاضر، يعد من مقاصده فى نصـه،وهي فـي دلالـتها علي الماضي القريب من الحال (٤٣) وترت من حركية الحـدث وأبعدتـه مـن الخمول، مما جعل من مصيبة هذا الحوار حول البيع حية حاضرة مع ماضويتها، وهذا بدوره شكل من أشكال تحاور الزمن فى النص، تعين على ثراء الدلالة وعدم سكونها، وقد كان ذلك واضحاً فى قوله :

٤٢- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،مرجع سابق، ملحق الكتاب جدول رقم (١)

٤٣- مهدى المخذومى ، النحو العربي نقد وتوجيه ،مرجع سابق"، ص:١٥٥ .

٢٠٨ – لقد باع، بع، باع، لا لم يبع، غَنَى بالمال، ويحك، بعْ يا رجلْ

٢١٠- (أغثْني ! أجل !)

باع ! ماذا ! أباع ؟!، نعم باع، قد باع !، حقًا فَعَلْ

٢١١- (أغِثْني ! أغثني ! نعم !)

قد ربحْتَ !! . . بُورِكَ مَالُك !

أين الرجلْ؟

٢١٢- ومضَى أين ! .. لا ، لستُ أدرى ! .. متى ؟

لقد بعْتَ ؟! كلا وكلا .. أجَلْ !

٢١٣ – لقَدْ بعتَ ! قد بعتَ !

كَلا كذبتَ

لقد بعتَ ! قد باعَ

وَيْحي! أجل

٢١٤ – لقد بعتُها ... بعتُها ... بعتُها . جُزِيتم بخير جزاءٍ ، أجَلْ ! ..

إن هذا التتابع لهذه الصيغة الزمنية السابقة تؤكد حرص الشاعر – كما قلنا–على حـــركية الحدث، لتزداد مرارة الندم على هذا البيع الثمين، و بتوكيدها على حدوث الفعل فى الماضي (٤٤) قد جعلت من أمر البيع أمرا محتوما لا رجعة فيه.

كمـــا أن تردد لفظة" باع " بصيغتها الماضوية زادت من الحسرة و الخزي الذى ألَمَّ بالقواس ، فقد وقعت الواقعة .

ثالثاً : كان حظ الزمن النحوي " المضارع " عند الجمهور أكثر من "الماضي" حيث بـــيان حالـــة المزاد وحركية وإحياء وتجسيد المناخ فى ساحة البيع ، خاصة وأنها أفعـــال ذات دلالـــة صـــوتية [آتٍ يصيح، صوت يصِلُّ ، هذا يؤج ،هذا يعج، هذا يخـــور]وهـــي مـــع تضعيفها تكون قد كثفت من إيحاء هذه الطامة التي لفت بـــ"

٤٤- ينظر جملة مجمع اللغة العربية مقالة:معاني الماضي والمضارع فى القرآن الكريم، ١٠:١٩

القواس/ المختبلة من أبناء الأمة".

وفـــى إطار هذا الزمن النحوي يأتي "الأمر" الذى يتعايش مع الزمن النحوي السابق فـــى دلالـــتهما على ما لم يقع ، أو فى دلالتهما على الاستقبال (٤٥) وهو فى دلالته علـــى الحال (٤٦)قد أثرى بجانب الزمن النحوي المضارع جو البيع ، الجو الكئيب حين يباع النفيس ، حين يَبيعُ الإنسانُ ما قد أتقنه ، يبيع سر بقائه وتفوقه ، ويشترى هـــزيمته ومـــوته، حـــين توجد صرخات التوجيه نحو عدم الوقوع فى المصيبة ، حركات التحذير والاستغراب من حمقِ مَنْ يبُعْ غال باق برخيص زائل، لنتأمل:

١٦٣- فنَادتْهُ ..... خُذْني إليك ودعْ ما بَذَلْ

٢٠٧ - ... بُعْ يارَجلْ !

٢٠٨ - لقد باعَ... بُعْ ... بعْ يارجُلْ

٢٠٩- وحشْرجَةُ الموتِ : خُذْنِي إليْكَ .

لَبيكِ لبيكِ

٢١٠ أغثْني ...بُعْ يا رجُلْ

٢١١- أغثْني ... أغثْني

ثالـــثاً : اســـتعان الشـــاعر بـــ"الزمن الاقتراني" ، حيث الارتباط يبين فعلين ، قد يكـــونان علـــى صـــيغة زمنية واحدة أو مختلفين، وفى إطار هذا الاقتران يفرض

٤٥- سيبويه:الكتاب، تح :عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٦م،ص:٢/١ وطالـــع : -الســـيوطي، همـــع الهوامع،صححه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،(د/ت) ١ / ٧،٨

-عباس: النحو الوافي،دار المعارف بمصر،١٩٧١، ١ / ٦٥ ،

-إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ،الأنجلو المصرية، ط٥، القاهرة،١٩٧٠، ص: ١٧٥

٤٦- مصطفى جمال الدين، البحث اللغوي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر ،دار الحرية للطباعة، بغداد،١٩٧٤، . ص:١٥٤

السياق النحوي نفسه حيث تتحول الجملة إلى وحدة منسجمة زمنيا ([٤٧])، على الرغم من تباينها الصرفي، فالتركيب الشرطي يتسم-كما يقول لؤي علي خليل- في الأتي ([٤٨]) :

الأول: تضمنه طاقات دلالية وجمالية.

ثانيا: اتسامه بالمرونة التي تتيحها للمرسِل، حيث تسلمه قيادها بتعددية أخَّاذة.

ثالثا: احتوائه على ملامح الإثارة التي يبثها هذا التركيب إلى المرسل إليه.

وبهذا يتميز التركيب الشرطي "بأنه يشكل إطارا دائريا مغلقا يتمحور حول المعنى المقصود ،إذ تبدأ الخطوط الأولى للدائرة بالتشكيل حالما تظهر أداة الشرط ، فما أن يسمع المتلقي "إذا" حتى يعلم أنه ثمة دائرة قد فتحت أو بدأت بالتشكيل ، وأنه ثمة جملة وجوابا سيأتيان ليغلقاها."([٤٩]) وهذا من شأنه إثراء حركية الحوار والتقابل بين هذه الصيغ، من ناحية وإثراء الدلالة المطروحة وتوكيدها من ناحية أخرى .

١٤٤- فَمَا كاد .... حتى رأى كاسِرا ....، ١٤٦- .. أخْفَى إذا ما سَرَت مِن أَجَلْ ١٤٨- فلمَّا أهَلَّ وألقَى السَّلام ....، ١٥٠- رأى بائِساً ١٥٣- ... لم يزلْ يتيهُ بها السمْعُ حتَّى غَفَلْ، ١٥٥- فلمَّا ترامَتْ على راحتَيْه، ١٥٦- دعتْ يا خَلِيلِي ! ماذا فعلتَ ؟!

ونستطيع أن نبين هيأة الزمن فى هذا المقطع على النحو التالي :

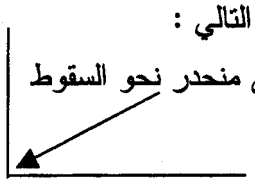

٤٧- طالع تحول الصيغ إلى أقسام زمنية أخرى بفعل السياق (مالك يوسف المطلبى، الزمن واللغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦ م، ص:٩٥

٤٨- لؤي علي خليل، الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، مجلة الموقف الأدبي، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد:٢٧٦، لسنة ١٩٩٤م

٤٩- لؤي على خليل، الطاقات الجمالية للجملة الشرطية، مجلة الموقف الأدبي، مرجع سابق.

المقطع الأخير : الندم وآثار النكبة . من الأبيات (٢١٦ حتى ٢٩٠)

فى هذا المقطع يصور الشاعر أثر الفجيعة التى أحلت على" القواس / الحمقى من أصـــحاب تراث الأمة"، وقد كان الزمنان النحويان متجهين إلى جهة واحدة وهى " القواس "

وبتأمل لكيفية تحاور أزمنة هذا المقطع ونسبة توزيعها، وجدنا الآتي :

- الـــزمن الماضـــي الـــنحوي تكرر (١٠٥) مرة،الزمن الحاضر (المضارع) النحوي تكرر (٤٠) مرة، والأمر – (١٣) مرة .

وكان الفعل الماضي متمثلا فى :

(بعـــتها، بعتها، بعتها، فاضت ، أرسلها، غامت ، استنزفت، هطل، ذبحت، هـــيض، اعـــتقل، أغضى، أقام، تخاذل، باع، باع، أخلد، طار، نبتت، قام، دهاهن، فـــاز، ردت، مـــا فعل، دهاه، كركرت، هزل، قال، تلبس، أكل، غمغمت، لم تقل، ولّـــى، لم يول، سالت، مات، أسفر، إنجاب، ظل، رأى،بدت، حجل، مَرَقْنَ، حَفَل ، تمطى، دبت إليه ، رفع ، اعتدل، هلل ، انتفضت، خال، آبَتْ، نفس ، خامره ، أَبَلْ، أحسَّ، توقد، احتمل، لم يسل، بعتها، بعتها، بعتها، ألقي، انتحى، نفض، ألقى، ولى، أوغـــل ، أراد ، أحيـــيت، لم تسل،لم ينتقل ، ذهل، بطل، أنكر، نصل ، فضها،حل، ســـحق، تهـــتك، مست، تساقط، زل ، أفضى، خطفت، ختل، أجفلت، هدَلْ، شقت ، أضـــاء ، قـــوض ، ارتحل ، أطلت، لم تنل ، نادته، ارتد ، تلظى، لم يندمل، أفاق، قفل علم، فقدتك ، دهاك صدقت، صدقت، صدقت، صدقت، صدقت، قد صدقت .

المضـــارع: (تســـتهل، يهطل، تَنْزَى، يبكى ، يصل، ينهمل، يرفع ، يرى، تمشى، تنتقل، يحرك، تلوى، تَخْمَع ، يطير ، يميل ، تمل ، ينازع ، يحتلج ، يعتريها، يقلب ، يبســـط ، أرى ، تحملق ، تَزْهَر ، تَأْتَكل ، يطوى ، ينسى ،تَنتْضِلْ، تريه تسري، يبسط، تحسبه، تميت ، تحيى، لا تكن، لا تَبل ، تراني ، لم يذل.

وكانت الجهة التى ارتدت إليها هذه الأزمان النحوية كالتالي :

	الماضي	المضارع	الأمر
القواس :	٤١	١٥٦	١٠
القوس :	٨	—	—
الجمهور :	٥	١	٣
عوالم أخرى :	٤٣	٢٠	—
القوس الجديدة :	٧	٤	—

أولاً : استعمل الشاعر الماضي بنسبة كبيرة فى هذا المقطع ، فى بنية الندم والترنح عمـــا حدث ، حيث بِيع أغلى ما يملك بِيع مقوم وجوده، وسند كرامته، وقد استطاع الشـــاعر من خلال هذا الزمن أن يوقع المتلقي فى دائرة الدلالة المحتومة فى زمن مضـــى وانتهـــى ، سابق لزمن النظم، فلقد لحقت بالشيخ شاكر عوامل الهدم ، هدم التراث ومعاول تكسير عُمد الأمة، وهو قد عبر عن ذلك في قوله " فإن هذا الجيل الذى نراه منزوعاً من أصوله نزعاً كاملاً ..وأنه لا بقاء لأمة .. لا بقاء لأمة بغير حصـــيلتها الماضـــية، بغيـــر هـــذا التيار المتدفق من القرون الطويلة أعنى بالتيار المـــتدفق ، ذلـــك التيار الفكري واللغوي الذى يعيش به الإنسان .. الإنسان يعيش بلغـــته، فهـــذا الانفصـــال بين الماضي والحاضر قاطع بأن كل طريق فى الحياة الأدبـــية سوف ينقطع أيضاً ..(٥٠)ولعل الأبيات الأولى فى هذا المقطع، أقدر على هذا البيان، حين يقول" القواس / الجيل البائع المنزوع من أصوله" :

٢١٦- أجَلْ ..لا أجلْ بعتها !بعتها!أجل بعتُها!بعتُها!لا أجَل !

٢١٧- وفاضتْ دموعٌ كمثل الحميم لذَّاعة ، نارُها تستَهِلْ

٢١٨- بكاءٌ من الجمْر جمْر القلوبِ، أرسلها لاعجٌ من خَبَلْ

٢١٩- وغامَتْ بعينية واستَنْزَفَتْ دمَ القلب يَهطل فيما هَطَلْ

٥٠- طالـــع حوار نجم عبد الكريم مع الشيخ محمود محمد شاكر، مجلة الأدب الإسلامي العدد السادس عشر، ربيع الآخر ، جمادى الأولى / جمادى الآخرة ١٤١٨ هـــ، ص: ٥٩

٢٢٠- وخائفةٌ ذبَـحتْ صَوْتَهُ وهِيضَ اللسانُ لها واعتَـقَلْ

وأمـا عـن الزمن النحوي المقابل " المضارع " الذى اتجه إلى القواس فقليل فلم يتكـرر سوى ست عشرة مرة، وكلها أفعال ذات دلالة موجبة، وجاءت من خلال هذا الزمن ليتجسد هذا المجال المؤسف داخل الفضاء الزمي (الماضي)، **ولنتأمل الأفعـال التالية** : ٢٢٨- يبكى ٢٤٧- ينازع ، يحتلج النفس ،٢٥١- يقلب جمجمة ٢٥٥- ويبسط كفيه، ماذا أرى.، ٢٦٢- أراد لينس، ٢٦٦- ويبسط كفيه مستغرقاً .

إلـى غيـر ذلـك من الأفعال التى أدت دور الصورة المتحركة وسط سكون جم، لتتجسد- بعد ذلك – علامات الخسارة ماثلة حية، رغم مواتها فى الزمن الماضي .

ثانـياً : وأمـا ما ارتد إلى القواس (المُبَاعة) فكان الزمن النحوي الماضي خالقاً لفضاء زمني لعب فيه صوت الفعل " بِعتُها " بصداه تجسيداً لتمام وقوع الجريمة ، فقد وقعت الواقعة إذن، ولم تعد هناك بارقة أمل فى النهوض .

وقـد تردد هذا الفعل على لسان القواس الذليل بزمنه الدال على المضي (٧) مرات مع إضافة تكرار نفس الفعل (٧) مرات فى البيتين (٢١٤ ، ٢١٥) فى المقطع السابق، وفى توال عجيب مكثف لمرارة الانتهاء، يقول :

٢١٤- لقد بعْتها .. بعتُها .. بعتها ، جُزيتم بخير جَزاء ، أجَل !!

٢١٥- أجلْ بعتُها ..بِعتها، بعتها أجلْ بعتها!!لا أجَلْ لا ، أجَلْ

٢١٦- أجل لا أجل بعتُها!بعتها !بعتها!أجلْ بعْتها !بعتُها!لا أجل

وبعـد فتـرة زمنـية طـويلة فى وصف حيوات أخرى فى نفس الفضاء "الزمني الماضـي" الـذى تجسد فيه الخسران الواقع والهم الجاثم، يأتي الشاعر بنفس الفعل وزمـنه ، ليـرتد إلـى نفس الزمن السابق لنفس الفعل، لئلا يتيه المتلقي فى غمرة وصـف ذلك القواس وما حَلَّ به والعوالم المحيطة به الذي، هذا الوصف الذي امتد مـن [البـيت ٢٣٣ حتـى البيت ٢٥٧]مصورا بذلك حالة من حالات الفواق التى يستذكر فيها القواس شنيع ما صنع :

٢٥٧- (أجلْ بِعتها ! بعْتها بعتُها .. بقاءً قليلٌ ودُنْيا دُوَلْ

أمـا مـا يـرتد إليها من الزمن النحوي"المضارع" فلم يرتد إليها أي فعل من هذا

الفضاء الزمني بيانا واضحا على مواتها وانتهائها.

ثالثا: وأما من ارتد إلى الجمهور فهو بقايا المشهد السابق فى المقطع الثالث، وكان من حظ الزمن الماضي " ٨ " مرات وهو فضاء انسجم والانتهاء من البيع .. .

وقــد صور فيه حالة الجمهور بعد انتهاء الصفقة تصويرا بين حمقا متأصلا فيهم، لنتأمل:

٢٢٦ ومِنْ حَوْله النَّاسُ مِثل الدُّبَي عِجَالا تَنْزى، دهاهُنَّ طَلْ

ولــم يــتجه "المضارع" إلى الجمهور إلا هذا الفعل" تَنْزَى " مصوراً الوثب والقفز لرؤية النهاية .

٢٢٩ ومن ضاحِكٍ كَرْكَرَتْ ضحكةٌ له من مَزُوحٍ خبيثٍ هَزَلْ .

٢٣٠ ومِنْ ساخرٍ قال : يا آكلاً ! تَلَّبَسَ فى سَمْتِ مَنْ قد أُكِلْ

٢٣١ منْ بــاسِطٍ كَفــَّيْهِ كالمُعــزَّى و هَيْنمةٍ غَمْغَمَتْ لمْ تُقَلْ

وقــد عوض هذا المشهد من سكونه استخدام الشاعر لــ"لاسم الفاعل" الذى يتحرك فى نفس الفضاء الزمني كما سبق أن ذكرنا .

رابعاً : أما ما ارتد إلى [القوس] الجديدة الذى تمثل الأمل نحو النهوض مرة ثانية ، نحو الإعادة ، ولعل البيت الأخير يؤكد ذلك:

٢٨٩ – حباكَ به فاطِرُ النيِّراتِ وبارِى النَّباتِ ومُرْسِى الجَبَلْ

٢٩٠ – فقمْ واستَهِل ، وسبِّحْ له ! ولبِّ لــربٍ تعالى وجــَلْ

وقد ارتد إليها " ٧ " أفعال ماضية ، اثنان فى وصفها " أطلَّتْ " " لم تنُلَ " وخمسة فى وصفها بالصدق، حين قالت له:

٢٨٦ – بصُنْعِ يديكَ تــراني لديك، فى قَدِّ أُختِي، ونِعــمَ البَدَلْ

ردَّ عليها :

٢٨٧ – صدقتِ!صدقْتِ وأين الشبابُ، وأين الولوعُ؟وأين الأمل؟

٢٨٨– صدقتِ صدقــتِ !نعم قد صدقتِ وسرُّ يديكَ كأنْ لم يزلْ

وجاء المضارع يصور الجمال فى القوس الجديدة :

٢٨٠ – عروسٌ تمايَلُ مختالــةً تمُيتُ بِدلٍ ، تُحيى بدَل .

وبعد دراسة إبداع الزمن النحوي فى النص علينا أن نقف على الآتي :-

أولاً :حركة الزمن فى النص :

إن المـتأمل فـى النص يقف دون أدنى جهد على ماهية الحركة داخل النص ، فهـي تتسارع بشكل مثير ، وعجيب ، ويرجع ذلك إلى تلاحق الأفعال مع كثرتها واخـتلافها، وكـان لحـرف الربط " الواو " و " الفاء " دور بارز فى سرعة هذه الحركة ، وقد ساهمت الجمل المقترنة بالشرط فى تجسيد هذه السرعة، ولا شك أن مثل هذا التصرف من قبل المبدع يؤدى وظيفتين :

الأولـى : علـى مسـتوى المبدع، حيث تكشف عن مدى ازدحام وفيض المعاني، وتلاحقها عنده وتفاعلها فى صدره .

الثانـية : علـى مستوى المتلقي : حيث استطاع المبدع أن يجتهد فى ألا ينصرف عـنه وعن نصه، فما يكاد يقف على نهاية البيت حتى يرى التالي مرتبطاً به، وهذا بـدوره ، جعل المتلقي أكثر التصاقا بالموضوع، وأبعد عن السهو أو الملل الذى قد يصيبه من طول النص .

وتكـرر الرابط بـ"الفاء" فى الأبيات[٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦] متوالية وفى الأبيات[٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩].

وعن "الواو" فهي منتشرة فى جنبات النص انتشارا بينا مثل تواليها:

٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

وهـذه السـرعة الناجمة عن وجود حرف الربط " الواو " فى البيع وحالة "القواس" المـتدهورة سريعاً وحالة "الجمهور" حوله، تشاطرها سرعة نجمت عن ألفاظ هي الأخرى تتسم في دلالتها بالسرعة، مثل:"يهطل"، وتوالى فعل الأمر "بع"، "عجالا "، "كركرت"ضحكة (تتابع صوت الضاحك)، "سالت" جموعهم ، "إنجاب" ، " ينهمل ".

وكانـت الجمل المقترنة عبر الشرط هي الأخرى قد ساعدت على سرعة حركة النص مثل ، الشرط فى الأبيات :[٦٩ ، ٧٩ ، ٧٨ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٥] . وقد استعاض بالشرط حينما يقل استخدام " الواو " أو " الفاء "

وعليــنا أن نلاحظ أن حركة الزمن فى نهاية النص ، كادت تتوقف ، فانعدمت كل وســائل سرعة النص إيذانا بانتهائه، فقد سكن كل شئ، وحانت فترة التأمل وإعادة النظر فيما قد وقع، فهل نبدأ من جديد، وحين نبدأ مرة أخرى، هل نستسلم لليأس؟!، إلا أن ســرعة النص تزداد فى حشو الأبيات الأربعة الأخيرة نتيجة "حرف الربط " وتكــرار بعــض الأفعال إيذانا بانتهائه على سطح النص، وابتدائه في ذهن المتلقي وخواطره :

٢٨٧ -صَدَقْتِ صــدقــتِ وأين الشــبابُ وأيــن الأمــلْ

٢٨٨ -صَدَقتِ صدقتِ! نعمْ صدقتِ!وسُّر يديْك كأنْ لم يزلْ

٢٨٩-حباكَ به فاطرُ النَّيراتِ وبارِى القِسِيِّ ومُرْسِى الجبَلْ

٢٩٠- فقُم واستهِل وسبِّح له ! ولــبِّ لــربٍ تعالى وجَــلْ

وفــى إطار حركة النص لا يفوتنا هذا "السكون" الذى إرتآه"الشيح شاكر" على حــرف " الروي"، فوجود" السكون"لا يدل فقط على الزمن المعلَّق ولا على الهدوء فقط،بــل تغلــب على هذه الدلالة بكثافة بسرعة توالى الأبيات عنه طريق حروف الــربط كما ذكرنا سابقا، بل مثَّل به الشيخ شاكر نُتُوءا حادا ، جعل النص فى نهاية كــل بيت يمثل قلقا للملتقى، بوقفه على" السكون" الذي يتوقف معه النَّفَسْ من جهة أخــرى ، ليعيش المتلقي حدث النص معاناة وإحساسا ويؤكد أستاذنا الدكتور محمد عــبد المطلــب على دور المتلقي قائلا"لا شك أن وجود القارئ المتلقي فى العملية الإبداعــية أمر بدهي، من حيث تكون القراءة عملية إيجابية، وليست مجرد حضور ســلبي ، أي لابد من وجود توازن حضوري بين الإبداع والقراءة .." (٥١) ويقول فــى موضــع أخر فى كتابة السابق " ووجود المتلقي ليس خارجا فحسب، بل هو وجــود فــى وعْــى المــبدع بالدرجة الأولى، وهذه الحقيقة تأتى مع معاينة الواقع التنظيــري معايــنة صحيحة، ومن خلالها تأخذ العملية التنظيرية خطوطَ حركتها الجدلية بين الطرفين" المبدع والمتلقي " (٥٢)

٥١- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر، ورقم الإيداع ٩٤٤٩ / ١٩٩٠ م ، ص:٢٠٤ .

٥٢- السابق، ص:٢٠٧

ثانيا : التجانس بين الزمن النحوي والزمن التاريخي والاجتماعي:

تـتحدد العلاقة الأولى بين الزمن النحوي والزمن التاريخي والاجتماعي فى علاقة انسـجام، فهما متطابقان ولا يتقاطعان، فقضية الزمن بمضاويته-كما هو واضح - ينسـجم مع ماضوية الحدث، فالنص يقوم على صدى صوت قديم، وهو يعالج من خـلال الـتأويل موضـوعاً وقعت أحداثه -كما ذكرنا-حيث تدهور الواقع العربي والإسـلامي، وانحدار الأمة وموت همتها (٥٣) وقلنا إن "المضارع" يتحوصل بفعل سـياق الـنص إلى داخل الأحداث الماضوية، وتكون غايته -كما قلنا- هي حركية الدلالـة وتصويرها وإيحائها حينما تتطلب الموقف ذلك، فهو أي المضارع إن دل علـى الانقطـاع مـع الزمن التاريخي والاجتماعي للنص إلا أنه يرتد بفعل سياق النص لينسجم معه مرة أخرى .

ثالثا : الوظيفة الجمالية للزمن .

ولقـد تحددت الوظيفة الجمالية للأفعال الماضوية أو المضارعة من خلال "الموقع"، ومـن خـلال "التعادل النحوي"، ولا شك أن هذا التصرف قد هيأ للمتلقي توقعا من ناحـية، وأداءً موزونا،مـثَّل به تضافرا أسلوبيا من ناحية أخرى بين الأبيات، من التشابه الموقعي والتركيبي قول الشاعر :

٣٩- وأوْفَى على القِمَم الشَّامِخَات:جبالٌ من الشعر منها استَهَلْ

٤٠- تَحَـدَّرُ أنغامُـه المرسـلاتٌ، أنغـامَ سـيْل طغَى واحتَفَـلْ

"استهل ، احتفل" وقعتا فى نهاية البيت وهما على وزن واحد.

ويعاود هذا التشابه فى البيت " ٤٣ " :

فَطَارتْ سَراعـا إلى غيره بِعَدْوٍ تَضرَّم حَتَّى اشْتَـعَلْ

وكـأن هـذه الأفعـال عن طريق الموقع والتركيب ترتد إلى بعضها آخذه وآسرة

٥٣- طالع الحوار السابق مع الشيخ محمود شاكر الذى أجراه د . نجم عبد الكريم ، مجلة الأدب الإسلامي العدد ١٦ لسنه ١٤١٨ م، ص:٥٦، وما بعدها .

للمتلقي نحو الانتباه واليقظة، من ذلك أيضاً قوله:

٤٨- لواها عن الرِّى عِرْقانها أخَاالخُضْرِ،عرفَان منْ قَدْ عَقَلْ !

٤٩- وعلَّمَهـــا أيْن تُكْوَى الجُنُوبُ بنـــارِ الطّبيب لِدَاءٍ نَزَلْ !

٥٠- وأنَّ الخَصاصَةَ قَوْسَ البَئِيسِ إذا انْقَذَفَ السَّهْمُ عنها قَتَلْ !

وقد يتجه إلى بعض صيغ "اسم المفعول" الذى يتشابه مع "اسم الفاعل" فى دلالته الزمنية على الدوام فى حال اتصال " أل " بها ([٥٤]) ليقيم هذا الجمال في قوله :

٥٧ – تَبيَّنها وهى مْحجُوبة ومِن دُونها سِتْرَها المنْســدِلْ

٧٠ – فنَادتُه من كنِّها ، فاستَجاب: لبيْك ياقَدَّها المعْتَــدِلْ

وقد يغير الموقع فى صدر البيت وبنفس التركيب:

٨٢–وعَضَّ عليها ... فصَاحَتْ له ، فأشْفَقَ إشْفاقَة، و انْجَفَلْ

٨٣– فجسَّ ، فغَاظَتْه ، واستَغْلظَت ، فعَضَّ بأخْرى فلم تَمْتَلْ

ويأتي بالمضارع موقعا وتركيبا:

٧٧– يُقلِّبهَا بيَدىْ مُشْفِقٍ لَهيفٍ ، لطيفٍ رفيقٍ، وَجِــلْ

٧٨– يعرِّضُها لِلَهِيبِ الهَجِير رؤُوف بها، عَاكِفًا لا يَمَلْ

وقد يقيم تقابلا بالزمنين في صدر البيت وفى عجزه، مثل قوله :

٢٦٦– و يَبسُطُ كَفَّيْه مستغْرِقًا ، فتحْسَــبُه قارِئًا قــد ذَهَلْ

٢٦٧– يَرى نِعْمة لبسَتْ نِقْمةً، ونُورًا تَدَجَّى، وسِحْراً بَطَلْ

***

٥٤- مجلة كلية الشريعة: جملة الماضي والحاضر والمستقبل، بغداد، العدد: ١٩٥٨،٦م، ص:٢٠

الخاتمة

تعد دراسة الزمن في النص الأدبي من المفاهيم والمكونات الأساسية التي لا يجب إغفالها في بيان غايات النص ومراميه، ويكفي أن الزمن وعاء لا يتواجد خارجه حدث (ما) خاصة في الأعمال الأبية، وبالزمن يتتابع النص متحركا بنظام يكون المبدع واعيا به، وبكيفية توظيفه للرسالة التي يبثها من خلال هذا النص.

إن دراسة الهيئات الزمنية في النص تكشف جوانب مهمة فيه، لا تنكشف إلا بالوقوف عليها وبمعرفة حالاتها، وبهذه الهيئات ينمي المبدع دلالته ويجعلها أكثر دينامية، لا تعرف السكون، وهو ــ أي المبدع ــ يقيم من ورائها تقابلات من خلال الأحداث التي يبثها داخل هذه الهيئات الزمنية، مما يوجد صراعات تنتج حياة وتواجدا للقضايا المطروحة والمفاهيم التي خُلق من أجلها النص .

إن هذه الدراسة تؤكد غني العربية بالصيغ الزمنية داخل السياق وخارجه، وليس فقط ما اقتصر النحاة القدماء عليه حين ربطوا الزمن بالصيغة ربطاً صرفياً، مما أوهم معه بافتقار العربية إلى تلك الصيغ الزمنية، والعربية غنية بالزمن فى أساليبها العامة، وفى نظامها الدلالي، وليس فى صيغها الصرفية واتجاهات تلك الصيغ نحويا، ويتحول مفهوم الزمن النحوي-حينئذ- إلى وظيفة فى السياق يؤديها الفعل أو الصيغة، وهذا ما أكده كثير من النحاة ممن أشرنا إليهم في مقدمة هذا البحث .

إن هذه الدراسة في جانب منها، أوضحت الوظيفة الجمالية للزمن من خلال "الموقع"، ومن خلال "التعادل النحوي" ، كما أبانت مدى الاهتمام بحركة الزمن داخل نسيج النص، وهي حركة محسوبة، غير عشوائية، ذات صلة جوهرية بحركية الدلالات والمعاني التي يسعى نحوها النص، ويعد إغفال الوقوف على حركة الزمن إغفال لنبض النص وحياته.

المراجع :

- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الأنجلو المصرية، ط٥، القاهرة،١٩٧٠م
- ابن جنى : الخصائص، دار الكتب، القاهرة ١٩٥٢ م
- ابن فارس : الصاحبي، تحقيق:مصطفى الشيمي، بيروت ١٩٦٤م
- بشرى البستاني، زمنية التشكيل الشعري مقاربة في ديوان خليل حاوي، مجلة مواقف، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق،العدد:٣٩٢،كانون الأول، ٢٠٠٣م.
- السيوطي ،همم الهوامع، ،صححه محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت.
- صاحب خليل إبراهيم،جدلية الزمن واللون في ديوان"عاشقة الليل "لنازك الملائكة،مجلة الموقف الأدبي، مجلة شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد:٣،حزيران،٢٠٠٢م
- الأزهر الزناد، نسيج النص،بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م
- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، مطبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م
- سيبويه : الكتاب،تح :عبد السلام محمد هارون، دار القلم، القاهرة،١٩٦٦م
- عباس حسن: النحو الوافي،دار المعارف بمصر،١٩٧١م
- محمد أبو موسى . القوس العذراء وقراءة التراث ، مكتبة وهبة ، القاهرة ط ١ ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م
- محمد العبد، اللغة والإبداع الشعرى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط ٣، القاهرة، ١٩٨٩م
- محمد كمال بشر،علم اللغة العام "الأصوات" ، دار المعارف ، مصر(د/ت)
- محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر، رقم الإيداع ٩٤٤٩/ ١٩٩٠ م

•محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب فى شعر الحداثة " التكوين البديعي، رقم الإيداع ٥٦٣٣ لسنة ١٩٨٨م

•مالك يوسف المطلبى الزمن واللغة ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، مصر ١٩٨٦ م .

•مصطفى جمال الدين،البحث اللغوي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد،١٩٧٤م

•مهدى المخزومي، فى النحو العربي" نقد و توجيه" منشورات المكتبة العصرية، ط ١،بيروت ، ١٩٤٦م

•نجم عبد الكريم،حوار مع الشيخ محمود محمد شاكر ، مجلة الأدب الإسلامي، مجلة فصلية تصدرعن رابطة الأدب الإسلامي العالمية العدد: ١٦،لسنة١٤١٨هـ

•لوديزمير، فلسفة الوعي بالزمن وأثرها في العمل الأدبي، ترجمة:محمد هناء متولي ، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ١٩٢٨/٢م

•**المجلات:**

•كتاب دراسات عربية وإسلامية مهداه إلى أديب العربية الكبير أبى فهد . محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٨٢م

•مجلة الأدب الإسلامي مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية العدد: ١٦ لسنة ١٤١٨ هـ

•مجملة مجمع اللغة العربية مقالة :معاني الماضي والمضارع فى القرآن الكريم، العدد:١٠، ١٩٨٥م

•مجلة كلية الشريعة : جملة الماضي والحاضر والمستقبل، بغداد، العدد: ٦، ١٩٥٨م.

محمد السيد أحمد الدسوقي

مدرس البلاغة العربية

كلية الآداب ــ جامعة طنطا